
روايات مصرية للجيب
مرحبا بالحب


زهور
60

شريف شوقي


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبِّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوَّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى ثنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ المسئولية ..

وقف المهندس (سامح) ، ليشرف بنفسه على صب الخرسانة اللازمة لإنشاء أحد المبانى ، عندما حضر إليه أحد العمال ليناديه قائلًا :

ـ رئيس الشركة يريد مقابلتك .

اندهش (سامح) .. وقال .

ـ رئيس الشركة بنفسه ؟

أجابه العامل قائلًا :

ـ نعم (عبد الفتاح) بك .

سأله (سامح) :

ـ أين ؟

أجابه العامل وهو يشير إلى إحدى السيارات التى تقف بالقرب من موقع العمل :

ـ فى سيارته .. السيارة الزرقاء هناك ..

اتجه (سامح) نحو السيارة ، وهو يسائل نفسه عن سر حضور رئيس الشركة إلى موقع العمل .. وطلبه مقابلته شخصيًا .

ولم يكد يقترب من السيارة ، حتى غادرها أحد الأشخاص .. وتعرفه (سامح) .

إنه المهندس (كريم) رئيسه المباشر ، فى شركة النهضة لأعمال المقاولات والإنشاءات .

صافحه (سامح) وعلامات الدهشة واضحة على وجهه قائلًا :

ـ أهلًا باشمهندس (كريم) .. تُرى ماذا أتى بك إلى هنا ؟

أشار (كريم) إلى السيارة قائلًا :

ـ (عبد الفتاح) بك رئيس الشركة يريد التحدث إليك .

أطل (عبد الفتاح العزبى) برأسه من نافذة السيارة الفارهة ، تأمل الشاب الواقف أمامه بنظرة فاحصة قائلًا :

ـ ما أخبار العمل هنا يا باشمهندس ؟

أجابه (سامح) قائلًا :

ـ كل شىء يسير على ما يرام يا (عبد الفتاح) بك .

قال (عبد الفتاح) :

ـ الباشمهندس (كريم) يشيد بك ، ويقول إنك قد تجاوزت الموعد المحدد للانتهاء من هذا الموقع ..

ـ الفضل لله ، ثم لفريق العمل الذى يقوم بواجبه على أكفأ وجه هنا .

هز (عبد الفتاح) رأسه قائلًا :

ـ إنك أيضًا .. شخص متواضع يا باشمهندس (سامح) .

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ أريد أن تحضر الليلة إلى مكتبى ، فى مقر إدارة الشركة .

وبرغم اندهاش (سامح) من هذا الطلب ، إلا أنه قال له :

ـ تحت أمرك يا فندم .

ـ الثامنة مساءً .. سأنتظرك فى الثامنة مساءً .

ـ سأكون لديك فى الموعد تمامًا .

وهز (عبد الفتاح) رأسه ، وهو يتراجع فى مقعده إلى الوراء قائلًا :

ـ حسن .. هيا يا باشمهندس (كريم) .

وأسرع (كريم) ليركب السيارة ، وهو ينبه على (سامح) قائلًا :

ـ لا تتأخر يا (سامح) .. فـ (عبد الفتاح) بك لا يحب من لا يلتزمون بمواعيدهم .

وأشار (عبد الفتاح) للسائق كى يتحرك بالسيارة ، فى حين وقف (سامح) فى مكانه ، وهو يتساءل عن السبب ، وراء طلب (عبد الفتاح العزبى) مقابلته ، وما يمكن أن ينطوى عليه هذا اللقاء .

اقترب منه أحد زملائه قائلًا :
ـ ماذا بك يا (سامح) ؟ لماذا تبدو شاردًا هكذا ؟
سأله (سامح) قائلًا :
ـ أتعرف من هو هذا الشخص ؟
هز زميله كتفيه قائلًا :
ـ بالطبع .. إنه (عبد الفتاح العزبى) رئيس الشركة التى نعمل بها .
ـ إنها المرة الأولى التى أراه يحضر فيها إلى أحد مواقع العمل .
ابتسم زميله قائلًا :
ـ بل إنه معتاد على ذلك ، وإن كان قد بدأ يقلل من ذلك فى الآونة الأخيرة ، لظروفه الصحية .. كما أنه اعتاد المرور على مواقع العمل الهامة فقط .
ـ إذن .. فلم يأت لمقابلتى خصيصًا ؟
اتسعت ابتسامة زميله قائلًا :
ـ يقابلك خصيصًا ؟! أتظن نفسك هامًا إلى هذه الدرجة ؟.. لقد جاء ليطمئن على سلامة العمل بالطبع .
ـ ألم تره يتحدث إلىّ ؟
ـ بلى .. ألست المهندس التنفيذى المسئول عن العمل هنا ؟ لابد أنه سألك عن سير العمل ، وكفاءة التنفيذ .. إلخ .

ـ يبدو أنه على دراية تامة بسير العمل هنا .. بل إنه يشيد بالمجهود الذى بذلناه ، وبتجاوزنا للمواعيد المحددة .
فرك زميله يديه سرورًا وهو يقول :
ـ حسن .. هذا يعنى أننا سنحصل على مكافأة جديدة .
ـ أعتقد أن الأمر ينطوى على ما هو أكبر من ذلك .. فقد طلب أن أذهب للقائه فى مكتبه هذه الليلة .
سأله زميله بدهشة :
ـ هل طلب منك ذلك ؟
ـ نعم .
ـ لابد .. أن هناك شيئًا هامًا يستدعى ذلك بالفعل .
ـ على كل حال .. سأعرف هذه الليلة .
وفى الثامنة مساءً حضر (سامح) إلى مقر الإدارة ، حيث استقبلته السكرتيرة قائلة ، بعد أن قدم لها نفسه :
ـ أهلًا باشمهندس (سامح) .. لحظة واحدة ، سأخبر (عبد الفتاح) بك بحضورك .
مكث (سامح) دقيقة ، قبل أن تأذن له السكرتيرة بالدخول ..
كان (عبد الفتاح العزبى) جالسًا أمام مكتبه الواسع ، الذى تناثرت عليه الأوراق .. وبجواره نماذج لبعض المشروعات التى تتولاها شركته .. كما جلس أمامه المهندس (كريم) ..

ورحب به (عبد الفتاح العزبى) قائلًا :

- أهلًا يا (سامح) .. لقد حضرت فى موعدك تمامًا .

ودعاه إلى الجلوس ، وهو يفتح له علبة سجائره المعدنية قائلًا :

- سيجارة يا باشمهندس ؟

- شكرًا شكرًا .. أنا لا أدخن .

- فعلت خيرًا .. لعلك تتساءل عن سبب طلبى مقابلتك الليلة .

وصمت برهة قبل أن يقول :

- إننا بصدد تنفيذ مشروع سياحى كبير فى سيناء .. لا أقصد القيام بعبء المشروع كله .. ولكن بجزء منه . فسوف نشارك فى إقامة قرية سياحية على مستوى دولى ، فى جنوب سيناء .

وهذا المشروع ، أو هذه القرية سيتولى تمويل إنشائها عدد من كبار المستثمرين ، بالإضافة إلى وزارة السياحة .. والهدف من إنشائها ، هو جعلها أهم بقعة سياحية فى الشرق الأوسط ، لذا فقد عُهد إلى عدد من شركات المقاولات الكبرى المشاركة فى إنشاء هذه القرية .. بسواعد وأيدى المهندسين والعمال المصريين وحدهم .. وهذه ثقة غالية بالطبع .. وشرف لنا أن نكون من ضمن الشركات المختارة لتنفيذ هذا المشروع السياحى الضخم .

ونظر إلى المهندس (كريم) قائلًا :

- هل أعطى فكرة عن العمل الذى تقوم به ؟ أم تتحدث أنت يا باشمهندس (كريم) ؟

تحدث المهندس (كريم) قائلًا :

- إنها فكرة مبدئية بالفعل .. فهذه القرية السياحية ، تضم كل الحضارات التى تتميز بها مصر .

وأعنى الحضارة الفرعونية .. والحضارة الإسلامية .. والحضارة الإفريقية والقبطية القديمة .

أنت تعرف أن مصر تتميز بأنها مزيج من تداخل الحضارات المختلفة ، والهدف من هذا المشروع السياحى ، إبراز هذه الحضارات المختلفة ، فى تصميم القرية السياحية .

أى أنها لن تكون مجرد قرية سياحية فقط .. بل بمثابة مُتحف للحضارات التى توافدت على مصر .

وسوف تتولى شركتنا ، تصميم الجزء المتعلق بالحضارة الفرعونية .. من حيث التصميم .. والشكل الفندقى ، وحتى البحيرات الصغيرة .. كل ذلك سيتسم بالطابع الفرعونى .. وسوف نتولى مسئولية إنشائه ، تحت رقابة خبراء من مصلحة الآثار ووزارة الثقافة ، والسياحة بالطبع .

بينما سيعهد للشركات الأخرى بتنفيذ الجوانب الأخرى للمشروع .

وأكمل (عبد الفتاح العزبى) قائلًا :

- إن مشروع القرية السياحية ، أو الجزء الذى سيعهد إلينا بتنفيذه من هذه القرية ، يمثل أهمية خاصة بالنسبة لشركتنا ، فسوف تكون مقدمة للمشاركة فى أعمال أخرى من هذا النوع فى المستقبل .. لذا فهو يحتاج إلى مهندس كفء للإشراف على تنفيذه .

مهندس يعمل فى مجال التصميمات والتنفيذ ، ولديه من الصفات ، ما يمكنه من تولى مسئولية فريق العمل ، الذى سيعمل فى هذا المجال ، وإنجازه بشكل مشرف .. ومن واقع ما وجدته فى ملفك .. وما راجعته من أعمال سابقة لك .. وما عرفته عن رأى الباشمهندس (كريم) فيك .. وجدت أنك الشخص الذى يمكن أن أعهد إليه بتولى مسئولية هذا العمل .

وتراجع (سامح) فى مقعده ، وهو لا يصدق أذنيه قائلًا :

- أنا !!

قال له رئيس الشركة بهدوء :

- نعم .. أنت يا باشمهندس (سامح) .. ألا تجد فى نفسك الكفاءة ، للقيام بمسئولية هذا العمل ؟

أحس (سامح) بالارتباك ، وهو يردد قائلًا بتلعثم :

- فى الحقيقة .. أنا .. إننى ....

قاطعه المهندس (كريم) قائلًا بلهجة حاسمة :

- لماذا تبدو مرتبكًا هكذا يا باشمهندس ؟ إنك بالفعل جدير بتولى مسئولية تنفيذ هذا العمل .. ولولا ثقتى بذلك ، ما رشحتك لـ (عبد الفتاح) بك لكى تقوم به .. فلا يوجد ما يدعو لترددك .

هل أنت مستعد للسفر خلال أيام إلى سيناء لأداء هذا العمل أم لا ؟

قال له (سامح) سريعًا ، وقد تخلص من تردده :

- نعم يا باشمهندس .. إننى مستعد لذلك .

قال له رئيس الشركة ، وهو يشعل سيجارته :

- حسن .. هذا هو ما أردت أن أسمعه منك .. لأنك ستكون مسئولًا أمامى شخصيًا عن تنفيذه ، خلال أربعة أشهر من الآن .. ووفقًا للمستوى الذى حدثتك عنه .

والتفت إليه المهندس (كريم) ، وقد بدا وكأنه فوجئ بما قاله رئيسه قائلًا :

- أربعة أشهر يا (عبد الفتاح) بك .. إنها فترة قصيرة للغاية .. إننا نحتاج على الأقل لعام كامل .

ـ ردّ عليه رئيس الشركة قائلًا :
ـ إننا نريد أن نثبت أننا الأفضل والأسرع إنجازًا .. سيكون هناك ثلاث ورديات عمل ، طوال الأربع والعشرين ساعة .

المهندس (كريم) :
ـ حتى مع وجود ثلاث ورديات للعمل ، فإن ....
قاطعه المهندس (سامح) قائلًا :
ـ اسمح لى يا باشمهندس .. إننى أرى أن الأشهر الأربعة كافية لإنجاز العمل المطلوب . .
التفت إليه المهندس (كريم) قائلًا :
ـ ألا ترى أنك تبالغ قليلًا فى إبداء حماسك ؟
قال له (سامح) فى إصرار :
ـ سأكون مسئولًا عن ذلك .
ابتسم رئيس الشركة قائلًا :
ـ هذه هى الروح التى أريدها .. حماس وثقة وتصميم .. إنك حديث السن بالطبع .. وليست لديك الخبرة الكافية ، التى تؤهلك لرئاسة هذا المشروع .. لذا سيكون معك هناك المهندس (يسرى) .. سيكون مسئولًا عن النواحى التنظيمية ، وهو ذو خبرة فى هذا المجال ، وستليه أنت فى تولى المسئولية .

قال (سامح) :
ـ ولكنى ظننت ....
قاطعه رئيس الشركة قائلًا :
ـ ظننت ماذا ؟ أننى سأعهد إليك بالمسئولية وحدك ؟.. إننى مع تقديرى التام لكفاءتك ، التى أظهرتها خلال فترة عملك هنا ، لا يمكن أن أخاطر بإلقاء عبء المسئولية فى تنفيذ مثل هذا المشروع ، على كاهلك وحدك .
فأنت ستحتاج إلى رجل ذى خبرة أكبر فى هذا المجال ، وقدرة على التعامل مع العمال فى معسكرات عمل طويلة ، فى مناطق بعيدة .. وهو ما يستطيع (يسرى) القيام به .
ولا تظن أن ذلك سيحد من سلطاتك أو مسئولياتك .. بل سيلقى على عاتقك نصيبًا من المسئولية لا يستهان به .. إن هذا رقى كبير لك بلا ريب ، فتولى دور الرجل الثانى فى مثل هذا المشروع ، أمر لا يحلم به الكثير من المهندسين الشبان أمثالك .. ولكنى واثق بأن فى مقدورك القيام بمهمتك ، وتحمل العبء الملقى على عاتقك .
وتحدث المهندس (كريم) قائلًا :
ـ إن المهندس (سامح) مهندس موهوب .. ولديه قدرة على الابتكار ، وقدرة أكبر على تولى مسئولية التنفيذ .

ردّ عليه رئيس الشركة قائلًا :

ـ بالنسبة للتصميمات فهى موجودة لدينا .. ولن أعارض إدخال أية اقتراحات أخرى ، إذا وجدت أنها ستكون مفيدة ، فى إخراج العمل ككل بالصورة المرجوّة .

أما بالنسبة لمواصفات التنفيذ ، وسرعة الإنجاز ، فلن أتهاون بشأنهما .

وصمت برهة وهو يبتسم ، قبل أن يقول :

ـ لقد نسيت أن أخبرك أنه بشأن المكافآت والحوافز ، التى ستضاف إلى راتبك ، فسوف تكون مجزية للغاية ، وتعادل ثلاثة أضعاف ما كنت تحصل عليه هنا .. وربما زادت فى الشهر الأخير من العمل .

ـ إن ما يهمنى ، هو أن أكون عند حسن ظنك يا (عبد الفتاح) بك .

أشار إليه (عبد الفتاح) بأصبعه قائلًا :

ـ عليك أن تثبت ذلك .. والآن تستطيع أن تنصرف ، وأن تعد نفسك للسفر .. ستجد كل الأوراق الخاصة بالتصميمات ، وبقية المهندسين والعمال ، فى انتظارك فى موقع العمل ، خلال اليومين القادمين ، وسيكون أمامك أسبوع كامل ، لدراسة التصميمات ، وخطة التنفيذ ، قبل البدء فى العمل .

ونهض (سامح) قائلًا :

ـ أشكرك يا (عبد الفتاح) بك ، وأشكر المهندس (كريم) لثقتكم الغالية بشخصى .

قال رئيس الشركة :

ـ أرجو لك التوفيق .

وغادر (سامح) الغرفة ، تتبعه نظرات رئيس الشركة ، الذى تحدث إلى المهندس (كريم) قائلًا :

ـ أعتقد أنه شخص يمكن الاعتماد عليه .

رد عليه المهندس (كريم) قائلًا :

ـ لقد لاحظت أنه إنسان متميز ، منذ أن وقعت عيناى عليه .. فهو مجتهد وموهوب كما قلت لسيادتك .

عاد (سامح) إلى منزله ، وهو شارد ومشغول التفكير طوال الطريق لقد كانت هذه خطوة جريئة فى سبيل مستقبله .. والمسئولية الملقاة على عاتقه بالفعل ليست هينة .

كما أنها المرة الأولى ، التى يتولى فيها مسئولية أحد الإنشاءات الخاصة بالشركة ، خارج نطاق القاهرة الكبرى .. وسيحتم عليه ذلك الإقامة لفترات طويلة ، فى معسكر عمل .. بعيدًا عن أمه التى يتولى رعايتها ، وتعهدها فى مرضها ، منذ أن توفى والده .

كما أن العمل فى حد ذاته ، يختلف عن الأعمال التى سبق له تولى مسئوليتها ، وهو يشبه إحدى المهام الوطنية .. خاصة أنه سيكون وسيلة جذب سياحى لمصر ، لو نجح فى تنفيذه بالشكل المرجوّ .

لقد كانت أمه تستقبله دائمًا بشوق ولهفة شديدين ، عند عودته إلى المنزل كل يوم .. وتأبى أن تسلم جفونها للنوم ، قبل أن تراه وتطمئن عليه .. تُرى .. ماذا سيكون وقع الأمر عليها ، لو أخبرها أنه سيضطر للابتعاد عنها ، طوال أربعة أشهر كاملة ، يقضيها فى عمل متواصل بلا إجازات ؟

ويبدو أن أمه قد أحست بكل تلك الأفكار ، التى يزدحم بها رأسه ، فقد نظرت إليه بقلق .. وبعد هنيهة سألته :

ـ ماذا بك يا (سامح) ؟

* * *



٢ ـ وداعًا حتى نلتقى ..

ارتجفت الأم ، وامتقع لونها ، عندما علمت بأن (سامح) سيفارقها لعدة أشهر ، للقيام بالعمل المكلف به .

وجلست على مقعد بجانبها فى إعياء ، وقد أحست بمرارة الفراق قبل أن يبدأ بعد ، وأشفق (سامح) على أمه ، وهو يراها فى هذه الحالة ، فجثا على إحدى ركبتيه أمامها قائلًا :

ـ إذا لم توافقى على سفرى ، فلن أسافر ، حتى لو أدى الأمر إلى فصلى من الشركة .

لكن الأم استجمعت قواها ، وكتمت فى صدرها آلامها ، وهى تقول له :

ـ بل سافر فى رعاية الله يا بنى .. فما كان لى أن أكون عقبة فى طريق مستقبلك .

قال (سامح) :

ـ ولكنى لا أريد أن أتركك بمفردك يا أمى .

مسحت الأم على رأسه بحنان قائلة :

ـ ومن قال لك إننى سأكون وحدى ؟ إن خالتك وخالك سيتوليان رعايتى فى أثناء غيابك .

ـ أعتقد أن خالى سيرحب بإقامتك معه ، خلال فترة غيابى .

قالت له الأم بحزم :

ـ إننى لن أقيم عند أحد يا (سامح) .

ـ ولكن يا أمى .. إنك مريضة وبحاجة إلى رعاية .

ـ الله سيرعانى .. ثم إن منزل خالك ، وأيضًا منزل خالتك ، ليسا ببعيدين عن منزلنا .. وسيمران علىّ باستمرار ، لتولى شئونى والاطمئنان علىّ .. فلا تقلق ..

ـ ولكنى أشعر بالذنب لابتعادى عنك هكذا ، جريًا وراء تحقيق طموحاتى .

ابتسمت الأم فى حنان قائلة :

ـ لا ينبغى أن تشعر بشىء كهذا .. فأنا فخور بك .. وبأنهم قد اختاروك من بين العديد من زملائك ، للقيام بهذا العمل الهام .. وهذا يعنى أنهم يقدرون كفاءتك .. أنت فقط شديد الحنو على أمك بأكثر مما ينبغى .

قبّل (سامح) يدها قائلًا :

ـ إننى مهما فعلت ، فلن أوفيك قدرك يا أمى .

ـ سأدعو لك دائمًا بأن تحقق كل ما تصبو إليه .

نظر (سامح) فى عينى أمه قائلًا :

ـ إننى ما زلت أكرر لك يا أمى ، أننى مستعد للتنازل عن أى شىء ، لو لم تكونى راضية عن سفرى هذا .

وضعت الأم يدها على وجنتيه قائلة :

ـ لا أخفى عليك ، أننى سأشعر بوحشة كبيرة لفراقك .. ولكن على كل حال ، فإن أربعة أشهر ليست بالفترة الطويلة .. وعليك ألا تجعلها تطول عن ذلك .. وأن تثبت لهم أنك كنت جديرًا بالثقة التى منحوك إياها .

وعاد ليقبّل يدها مرة أخرى قائلًا :

ـ أعدك بذلك يا أمى .

سألته قائلة :

ـ متى ستسافر ؟

ـ بعد الغد .

ـ إذن سأبدأ فى إعداد حقائبك منذ الآن .

ـ سأعدها بنفسى .. فالأمر لا يستحق أن تتعبى نفسك .

سألته أمه قائلة :

ـ ألن تذهب إلى منزل الحاج (أمين) لتعلمهم بالأمر ؟

ـ نعم .. سأذهب إليهم غدًا .. فأنا اليوم متعب ، وأريد أن أخلد إلى الراحة ..

سألته أمه قائلة :

ـ وماذا بشأن (سحر) ؟

نظر إليها قائلًا :

ـ ماذا تعنين يا أمى .

أجابته الأم قائلة :

ـ أنت تعرف جيدًا ماذا أعنى ؟ هل ستتركها أربعة أشهر ، دون أن تحدد موقفك بوضوح فى شأنها ؟

أطلق (سامح) زفرة قصيرة تنم عن حيرته وهو يقول :

ـ نعم .. أظن أنهم بحاجة لأن أقول لهم شيئًا بهذا الشأن .

ـ أنت تعرف أن الحاج (أمين) وزوجته ، ينتظران منك أن تفاتحهم بشأن ابنتهم ، وكذلك (سحر) تنتظر منك شيئًا كهذا .. لقد لمّحوا لك ولى ولخالتك أكثر من مرة .. وهم يبدون ترحيبًا شديدًا لكى تكون زوجًا لابنتهم .

ـ إذن لا بأس من قراءة الفاتحة معهم قبل سفرى .

تأملته الأم بنظرة فاحصة قائلة :

ـ الفاتحة فقط ؟

قال لها بلا مبالاة :

ـ والخطبة أيضًا لو أردت .

قالت له بدهشة :

ـ لو أردت !! ليس المهم هو ما أريده أنا .. المهم ما تريده أنت .. ألست راغبًا فى الزواج من هذه الفتاة ؟

اصطنع ابتسامة باهتة على وجهه وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟ إن (سحر) فتاة طيبة .. ولا أنكر أن بها العديد من المزايا .

سألته أمه قائلة :

ـ ألم تفاتحها بشأن الزواج إلى الآن ؟

أجابها قائلًا :

ـ كلا .. لأننى لم أكن أعرف حقيقة موقفى من هذا الزواج .

قالت له أمه بصوت هادئ النبرات :

ـ هل أنت الآن واثق من حقيقة موقفك ؟

قطب (سامح) جبينه وهو يقول :

ـ بالنسبة لهذا الأمر ، فإن الأمور بالنسبة لى أصبحت تتساوى يا أمى .

تفرست أمه فى وجهه قائلة :

ـ كيف ؟

ـ أعنى أنه ما دامت الفتاة طيبة ، وتحوز رضاك ، فلا يوجد ما يمنع من الاقتران بها .

ـ وماذا عن الحب .. والمشاعر ؟

ابتسم (سامح) فى مرارة قائلًا :

ـ الحب والمشاعر .. لم يعد لهما وجود فى حياتى يا أمى .

قالت له أمه بإشفاق :

ـ لماذا أسمع هذه النبرة الحزينة فى صوتك يا بنى ؟

عاد ليصطنع ابتسامة باهتة على وجهه قائلًا :

ـ ولماذا أبدو حزينًا ؟ ألست ناجحًا فى عملى ؟.. وهأنذا مُقبل على مزيد من النجاح ؟

قالت له الأم وعيناها ما زالتا تتفحصانه :

ـ لكنك تبدو تعيسًا فى حياتك العاطفية .. وتفتقد الحب الحقيقى .

ضحك (سامح) وهو يحاول أن يوحى لأمه بغير ذلك قائلًا :

ـ ما هذا التقلب يا أمى العزيزة؟ لقد مكثت تشيدين بمدح (سحر) لفترة طويلة ، والآن ، لما أردت النزول على إرادتك ، أراك تظهرين الفتور .. لماذا لا ننهى هذا الأمر قبل أن أسافر ، على النحو الذى ترضينه ؟

ـ هذه المرة أرى أنه من الأفضل أن تنتظر حتى عودتك .. إن الظروف تغير الأمور يا بنى .. وليس من الإنصاف أن تقيد الفتاة بخطبة ، ثم تدعها وأنت غير مدرك لحقيقة مشاعرك نحوها .

إننى لا أرتاب فى أنها مغرمة بك .. ولكنى أرى بوضوح ، أنك لا تبادلها مشاعرها ، وأن الأمر لا يعدو بالنسبة لك سوى مجرد زيجة ، لمجرد أن بها بعض الصفات الطيبة ، ولأن هناك صلة وطيدة تربطك بأهلها ، ولأنك تبحث عن إرضائى .

والزواج لا يقوم على مثل هذه الأمور يا بنى .. بل على حب ومشاعر حقيقية وقوية .

ـ إذن فأنت ترين أنه من الأفضل ، ألا أفاتح الحاج (أمين) فى هذا الشأن ؟

ـ إذا ما أردت رأيى ، فهذا ما أفضله بالفعل .

ـ حسن .. فلنؤجل ذلك الأمر لما بعد .. فإننى لا أرغب فى أن أقيد الفتاة بمثل هذه الخطبة بالفعل .

ـ وكأنك كنت تنتظر أن تسمع ذلك منى .

هز رأسه قائلًا :

ـ تمامًا .. إنك دائمًا تفهميننى بأكثر مما أفهم نفسى .

وفى اليوم التالى ، توجه (سامح) إلى منزل الحاج (أمين) ، حيث استقبلته زوجته بترحاب قائلة :

ـ أهلًا بك يا (سامح) .. إننا لم نرك منذ فترة طويلة .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ إننى لم أحضر إليكم منذ أسبوع واحد فقط .

ابتسمت السيدة (كريمة) بخبث قائلة :

ـ حقًا ؟ أظن أن (سحر) تعد هذه الفترة على قصرها مدة طويلة .

تلفت (سامح) حوله قائلًا :

ـ هل هى هنا ؟

أجابته السيدة (كريمة) بلهجة تشف عن الأسف قائلة :

ـ كلا ليست هنا .. لقد سافرت بالأمس لقضاء ثلاثة أيام فى الإسكندرية لدى عمتها .. ولم تكن فى الواقع ترغب فى السفر ، لولا أننى ألححت عليها .. فقد كانت عمتها متشوقة للغاية لرؤيتها .

قال لها (سامح) :
- يؤسفنى أننى لم ألتق بها أو بعمى الحاج (أمين) اليوم ، فقد جئت لأودعكم قبل سفرى غدًا .
قالت له السيدة (كريمة) بانزعاج :
- تسافر .. إلى أين ؟
- إلى جنوب سيناء .
سألته قائلة :
- هل أنت مسافر فى رحلة قصيرة ؟
- بل إننى سأتغيب عن القاهرة لمدة أربعة أشهر على الأقل .. وسفرى مرتبط بالعمل .
قالت المرأة وهى تحاول أن تخفى انزعاجها :
- على كل حال ، إن سيناء ليست بعيدة .. ولابد أننا سنراك فى الإجازات خلال هذه الفترة .
- أعتقد أننى لن أستطيع الحصولَ على أية إجازات ، خلال فترة سفرى ..
وزاد ضيقها لدى سماعها ذلك .. لكنها تمالكت نفسها وهى تقول له :
- لابد أنه عمل هام ذلك الذى كُلفت به .
- نعم .. إنه خطوة كبيرة فى حياتى العملية .
وارتسمت على وجهها ملامح أسف حقيقى وهى تقول له :

- من المؤسف حقًا أن (سحر) ليست هنا .. لابد أنها ستحزن كثيرًا ، لعدم تمكنها من مقابلتك قبل سفرك المفاجئ هذا .. لكن لابد أنك ستستطيع أن تجرى اتصالًا تليفونيًا ، أو ترسل خطابًا ، أو أى شىء من هذا القبيل خلال سفرك .
- بالتأكيد .
لزمت السيدة (كريمة) الصمت لبرهة .. ثم سألته بلهجة ذات مغزى لم يدركها (سامح) قائلة :
- أتريد أن تبلغ (سحر) رسالة مَا .
هز (سامح) رأسه قائلًا :
- فى الحقيقة .. هى ليست رسالة لكنها توصية أوصيها بها ، كما أوصيك بها أنت والحاج (أمين) أيضًا .
قالت له المرأة سريعًا :
- أوص بما شئت يا بنى .. فأنت بمثابة ابن لنا .
قال لها وفى صوته رنة رجاء :
- أمى .. أوصيكم جميعًا بأمى .
وبرغم خيبة أملها لما قاله ـ فلم يكن هذا هو ما تنتظر أن تسمعه منه ـ إلا أنها قالت له سريعًا :
- الحاجَة ؟.. وهل نحن بحاجة لتوصية على الحاجَة ؟ إنها فى أعيننا جميعًا .

- حضرتك تعرفين أنها مريضة .. وكانت تعتمد فى أمور كثيرة علىّ وعلى رعايتى لها .. لذا فسوف يؤدى غيابى إلى إضافة عبء كبير عليها وعلى صحتها ، كما سيترك فراغًا كبيرًا فى حياتها .

لقد حاولت أن أجعلها تقيم لدى خالى طوال فترة غيابى .. وهو أمر موضع ترحيب كبير بالنسبة له .. لكنك تعرفين مدى حساسيتها ، واعتزازها بمنزلها ، واستقلالها بنفسها .. ولكنى لا أخفى عليك إحساسى بالقلق تجاه تركها وحدها فى المنزل على هذا النحو .

قالت له السيدة (كريمة) بلهجة مطمئنة :

- يا حبيبى كن مطمئنًا .. إننا لن نتوانى عن رعايتها وخدمتها فى غيابك .. فنحن تربطنا بها وبوالدك - رحمه الله - صلة متينة وكبيرة ، من قبل أن تولد ، وهى بمثابة أخت لى ، وأم أخرى لـ (سحر) .. فلا تقلق بهذا الشأن .. ثم إنك تجعل الأمر يبدو وكأنك مسافر إلى بلاد بعيدة ، ولسنين طويلة . فكما تقول ، إن سفرك لن يتجاوز الأربعة أشهر .. كما أنك لن تغادر بلدك على كل حال .. والاتصالات التليفونية متاحة .. وتستطيع من خلالها أن تطمئن على والدتك باستمرار .

تناول (سامح) رشفة من العصير الذى أحضرته له ، قائلًا :

- ربما لا تتاح لى فرصة الاتصالات التليفونية ، من خلال موقع العمل الذى سأتولى الإشراف عليه .. ولكن على كل حال ، أشكرك لأنك تهونين الأمر علىّ ، وتجعليننى أسافر وأنا مطمئن ، على أننى قد تركت والدتى فى أيد أمينة .

صمتت المرأة برهة .. ثم عادت لتقول له :

- ألا تريد أن أبلغ (سحر) بأى شىء آخر ؟

أجابها قائلًا :

- بلى .. بلغيها تحياتى .

قالت له بيأس من أن تسمع منه ما هو أكثر من ذلك :

- نعم.. سأبلغلها ذلك .

لما غادر (سامح) المنزل ، وبلغ نهاية الشارع ، أحس بأنه لا يستطيع الحكم حقًا على مشاعره المشوشة .

لقد أحس بالأسف ، لأنه لم يجد (سحر) بالمنزل .. ولكنه لم يكن بالدرجة التى يحسها شخص يتلهف على مثل هذا اللقاء .

وفى النهاية هز كتفيه قائلًا :

- إننى أستطيع على كل حال أن أكتب لها .. لو أحسست بأننى أفتقدها حقًا ، بل لابد لى أن أفعل ذلك ، لكى تطمئننى على أمى .

★ ★ ★

٣ ـ واحة سيناء ..

بعد مضى شهر ونصف ، على تولى (سامح) لعمله ، فى مشروع إنشاء القرية السياحية ، كان جالسًا ذات يوم داخل استراحته الخشبية ، يتناول وجبة خفيفة ، ويحصل على قسط قصير من الراحة ، قبل أن يعود لاستئناف عمله مرة أخرى .

بدا (سامح) أقل وزنًا وأكثر صلابة ، من جراء العمل المتواصل فى ذلك المكان ، فلم يكن يكتفى بدور المهندس المشرف على التنفيذ .. بل كان يشارك العمال أحيانًا العمل بيده .. ويحاول أن يقدم من أفكاره ، ومن خبراته كمهندس تصميم ما يفيد العمل .

كما أضفت الشمس على لونه سمرة برونزية محببة ، زادته وسامة .

وتذكر (سامح) أمه .. فأطلق زفرة قصيرة ، وهو يتساءل عن حالها الآن .

لقد تمكن بصعوبة من ترك موقع العمل لمدة ساعتين ذهب خلالهما إلى الفرع الرئيسى للشركة فى سيناء ، لاجراء اتصال تليفونى بها ، استطاع من خلاله أن يطمئن على حالتها وعلى أنها بخير .

لكنه ظل يتساءل ، عما إذا كان ما أخبرته به حقيقيًا ، أم أنها كانت محاولة منها لبث الطمأنينة فى نفسه .. حتى لا يقلق عليها ؟

إن الشىء الوحيد الذى يقلقه هنا ، هو تفكيره فى أمه وسلامتها ، وما إذا كانت تلقى العناية الواجبة .

وفى تلك اللحظة ، رأى (محمود) زميله واقفًا أمامه ، وهو يدخل عليه استراحته ، وفى يده (ترموس) للشاى قائلًا :

ـ هل انتهيت من تناول وجبتك ؟

أجابه (سامح) قائلًا :

ـ نعم .

قال له (محمود) ، وهو يتناول كوبين زجاجين من فوق المنضدة :

ـ حسن .. لنتناول الشاى معًا إذن .

استرخى (سامح) فوق مقعده قائلًا :

ـ لقد جئت فى الوقت المناسب .. فقد كنت أتوق لكوب من الشاى بالفعل .

نظر (سامح) إلى ساعته ، وهو يتناول كوب الشاى .. فقال له زميله :

ـ ما زال أمامنا فسحة من الوقت قبل أن نعاود العمل .

سأله (سامح) قائلًا :

ـ هل حضر عمال الوردية الثانية ؟

قال (محمود) وهو يتناول الشاى :

ـ نعم .. وكل منهم فى موقعه الآن .. فلا تقلق .

ثم التفت إليه قائلًا :

ـ ألا تفكر فى شىء آخر غير العمل ؟

أجابه (سامح) قائلًا :

ـ لقد جئنا من أجل هذا .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. لكن العمل ليس كل شىء .. يجب أن تروّح عن نفسك قليلًا .

ـ إننا نقضى أمسيات طيبة على كل حال .. ولدينا جهاز تليفزيون وفيديو يسرى عنا بعض الشىء .. وإن كنت تعرف أننى أفضل مصادقة الكتاب ..

قال له (محمود) ، وقد بدا غير راض عن حديثه :

ـ إننى لا أقصد هذا النوع من التسلية الروتينية .. فسيناء لم تعد صحارى وجبال ، ومواقع عمل فقط .. إن بها أماكن رائعة للتسرية عن النفس ، وقضاء أمسيات رائعة .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ آه .. فهمت ، تقصد ذلك الفندق القريب ، الذى تذهب إليه أنت والآخرون للسهر حتى الثانية صباحًا .. أتريد أن أذهب معكم ، لمشاركتكم السهر فى النادى الليلى هناك ؟

ـ ولِمَ لا ؟ إنك ترهق نفسك فى العمل أكثر من أى واحد منا .. ومن حقك أن تروّح عن نفسك .. وتبتعد عن هذا الروتين اليومى الشاق قليلًا :

ـ لا أستطيع .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى لا أريد أن أعود مثلكم فى نهاية الليل ، مثقل الجفون ، وقد أضفى السهر تعبًا على تعب اليوم .. لأقف فى اليوم التالى بين العمال ، وأنا شبه نائم ، ومشتّت التركيز .

ـ الذى يسمعك تتحدث هكذا ، يظن أننا نذهب إلى هذا الفندق كل ليلة ، إنها مرة أو مرتان فى الأسبوع .. للتغلب على روتين العمل .

ـ على كل حال .. إن هذا النوع من السهرات لا يناسبنى .. فأنا لم أذهب إلى أى ناد ليلى طوال حياتى ، سواء فى القاهرة أو فى أى مكان آخر .

ـ وأنا أيضًا كذلك .. ولكن أنت تعرف أن المجال الحقيقى الوحيد للترويح عن النفس ، هو ذلك الفندق السياحى القريب من موقع العمل ، والفضول هو الذى دفعنى ، إلى ارتياد النادى الليلى الذى يضمه الفندق .

لكن توجد أماكن أخرى رائعة ، ومريحة للنفس داخل الفندق عدا النادى الليلى ، مثل الحديقة ، وحمام السباحة .. والكافتيريا تستطيع قضاء وقت طيب بها ، وتريح أعصابك من عناء العمل اليومى .

ـ على كل حال .. إننى لا أشكو من شىء .

ـ أعرف ذلك .. وأعرف أنك تجد متعة فى العمل .. ولكن يا أخى لبدنك عليك حق .. ولنفسك عليك حق .. وهناك شيء آخر .. تستطيع أن تجرى اتصالاتك التليفونية بالقاهرة ، أو بأى مكان آخر فى مصر ، بوساطة الهاتف المباشر الموجود فى الفندق .. بدلًا من الطريق الطويل الذى تقطعه إلى فرع الشركة فى سيناء ، لإجراء مثل هذا الاتصال .

ربما دفعت نقودًا أكثر لإجراء هذه الاتصالات ، لكنك على كل حال ستستريح من عناء هذا الطريق الطويل .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ يا لك من شيطان .. ها أنتذا تحاول إغرائى بشتى الوسائل .

ـ إننى أريد أن تحصل على قدر من الترفيه .. فأنت تعرف أنك من أقرب الأصدقاء لى هنا .. وأحب أن أراك سعيدًا .

نهض (سامح) قائلًا :

ـ سننظر فى ذلك فيما بعد يا باشمهندس .. علىَّ الآن أن ألحق بوردية العمل الثانية .

ـ وردية ثانية !.. اثنتان متتاليتان ؟ أليس ذلك بالكثير ؟ ربما ناسبتك الوردية الثالثة أكثر ، حتى تستطيع أن تحصل على قدر معقول من الراحة .

ـ لقد كان من المفترض ، أن تعمل فى هذه الوردية مع الباشمهندس ، (يسرى) ، لكنك تعرف أنه ينهى بعض الأوراق الخاصة بمتطلبات الموقع ، عن طريق فرع الشركة الآن .

ـ يمكننى أن أتولى الأمر بمفردى .

ـ لا يمكن أن أوافق على ذلك .. فأنا المسئول عن هذا العمل مع المهندس (يسرى) .

ـ إن وجودك يسهل الأمور على أى حال .. فالعمال والمهندسون هنا يحبونك .. ولو أنك ترخى لهم الحبل أحيانًا .. لكن على كل حال إن هذا أهون بكثير من أسلوب المهندس (يسرى) فى التعامل معهم .. والذى يؤدى أحيانًا إلى بعض التعقيدات والمشاكل .

قطب (سامح) جبينه قليلًا ، عندما سمع ذلك .. إنه واثق بمقدرة (يسرى) وخبرته وكفاءته .. وهى صفات يحترمها فيه .. لكنه لم يكن راضيًا عن الرجل نفسه .. فهو جاف الطباع .. خشن المعاملة .. يتعامل مع العمال وزملائهم من المهندسين ، كما لو كان يقود كتيبة عسكرية هو قائدها ، وليس مهندسًا تنفيذيًا .

بينما كان (سامح) يعاملهم كصديق ، ويحرص على وجود الألفة بينه وبينهم ، مما مكنه من اكتساب احترام الجميع وحبهم .. فى حين لم يكن نصيب (يسرى) منهم

إلا الخوف والكراهية ، لما يمتلكه من حق توقيع جزاءات وخصومات على رواتبهم .. وقد يصل الأمر إلى حد الفصل من العمل .

لكن (سامح) كان حريصًا على ألا يعبر عن شعوره تجاه رئيسه أمام الآخرين ، حتى لا يزيد من إساءة العلاقة بينه وبينهم .. فقال له :

ـ إن المهندس (يسرى) .. مهندس ماهر وكفء .

قال له (محمود) :

ـ كان يستطيع أن يكون أكثر كفاءة .. لو حرص على كسب حب العاملين معه ، وعاملهم بشىء من اللين والرفق ، بدلًا من أسلوبه الجاف الخشن هذا ..

ـ أعتقد أن بداخله إنسانًا طيبًا ، عكس ما يحاول أن يبدو عليه .

ـ إنك تقول هذا .. لأنك أنت الذى تمتلك قلبًا طيبًا .. لا يعرف القسوة ولا الكراهية .

ـ إن الكراهية والحقد لا يقودان إلا إلى القضاء على صاحبهما .. والآنَ ، هيا بنا لنبدأ فى مباشرة عملنا .

أخذ (سامح) يتنقل بين العمال، وهو يراقب ما يقومون به من عمل ، ويبدى ملاحظاته ، وأحيانًا يشارك فى أداء بعض الأعمال بنفسه ، وهو يحثهم على بذل المزيد من الجهد ويشجعهم قائلًا :

ـ أحسنتم أيها الرجال .. منحكم الله الصحة والعافية .

وفى نهاية الأسبوع ، كان (سامح) راضيًا عن كم العمل الذى تم إنجازه ، ولكنه أحس بأنه منهك للغاية .

ودخل عليه صديقه (محمود) قائلًا :

ـ لقد قضيت وقتًا طويلًا منكبًا على العمل .

نهض (سامح) من فوق مقعده ، وهو يبسط ذراعيه قائلًا بصوت ينم عن التعب :

ـ نعم أظن ذلك .. وإن كان يتعين علىَّ أن أراجع بعض التفاصيل .

صاح فيه (محمود) معاتبًا ، وهو يقول :

ـ يا أخى .. كفاك إرهاقًا لنفسك .. لقد تمت مراجعة كل شىء .

وجلس (سامح) فوق حافة فراشه قائلًا :

ـ معك حق .. إذن سأحاول أن أنام قليلًا .

اقترب (محمود) منه قائلًا :

ـ هناك وسائل أخرى للراحة والتسرية عن النفس غير النوم .

ـ لا تقل لى إنك تريد أن أذهب معك إلى الفندق .

فتح (محمود) دولابه المعدنى الصغير ، ليخرج له قميصًا وبنطلونًا قائلًا :

ـ بل ستأتى معى بالفعل .. فقد آن الأوان لنرى شيئًا آخر ، غير هذا الموقع المزدحم بالطوب والأسمنت والأحجار .

ـ (محمود) إننى متعب ، ولا أستطيع الذهاب إلى أى مكان .

ألقى له (محمود) بالثياب على الفراش بجواره قائلًا :

ـ بل تستطيع .. وعليك أن تسرع بتغيير ثيابك .. وإلا أبدلتها لك بنفسى .. إننى أود أن تتريض معى قليلًا .. وأعدك بأن نبتعد عن النادى الليلى .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ لا بأس .. لكننى أحذرك .. إننى لست مستعدًا للسهر هناك لساعة متأخرة .

ارتدى (سامح) ثيابه ، واستقل مع صديقه (محمود) وزميل آخر السيارة الصغيرة المخصصة لتنقلاتهم .. متجهين إلى الفندق السياحى الصغير ، الذى يقع على مسافة سبعة كيلومترات من موقع العمل .

سأله (سامح) فى أثناء الطريق قائلًا :

ـ هل يأتى عدد كبير من السائحين إلى هذا المكان ؟

أجابه (محمود) :

ـ إن الفندق مكون من أربعة طوابق فقط ، وثلاث شاليهات .. وأحيانًا يكون مزدحمًا بالسائحين ، وببعض المصريين الذين يأتون لقضاء بضعة أيام ، وسط جو الطبيعة الخلاب فى ذلك المكان .. لكنه يتميز بخدمات سياحية رائعة ..

قال زميلهم الثالث :

ـ إننى سعيد للغاية ، لأنك قد وافقت على مرافقتنا فى الذهاب إلى الفندق هذه الليلة .

سألهما (سامح) قائلًا :

ـ هل تصدقون أننى حتى اليوم ، لا أعرف اسم ذلك الفندق الذى ترتادونه ؟

أجابه (محمود) قائلًا :

ـ اسمه (واحة سيناء) .

وعندما وصلت السيارة إلى الفندق ، أحس (سامح) بأنه يستحق بالفعل الاسم الذى أطلق عليه .. فقد بدا مثل الواحة الوارفة الظلال ، فى تلك البقعة من الصحراء .

واصطحبه زميلاه إلى الداخل ، وهو يسير معهما بخطوات مترددة .

★ ★ ★

٤ ـ هل تذكرنى ؟

أخذ (سامح) يتنقل فى أروقة وحديقة الفندق ، وقد بدأت بهجة المكان تنعكس عليه ، فذهبت عن وجهه ملامح التعب ، وهو يتمدد فوق أحد المقاعد الوثيرة المتناثرة فى أرجاء الحديقة .

وسأله (محمود) قائلًا :

ـ ما رأيك فى المكان ؟

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ إنه يستحق الاسم الذى أطلقه أصحابه عليه .. فهو يبدو كالواحة الخضراء بالفعل ، ويبعث على البهجة والراحة ..

وسرّ (محمود) لأن المكان نال رضا صديقه .. فقال له :

ـ ألم أقل لك ؟

ـ ولكننا سننجز عملًا ، أكثر جمالًا وروعة من ذلك المكان ، فى تلك القرية السياحية .. وربما أدى ذلك إلى انصراف السائحين عن هذا الفندق الصغير .

ـ ألا تستطيع أن تنسى أبدًا أنك مهندس ؟

وسأله زميلهما قائلًا :

ـ ألن نذهب لقضاء بعض الوقت فى النادى الليلى ؟

قال له (محمود) متبرمًا :

ـ إن صديقنا العزيز ، يرفض ارتياد تلك الأماكن .

قال لهما (سامح) :

ـ تستطيعان أن تذهبا أنتما ، لو أردتما ذلك .. أما أنا فسوف أنتظركما هنا .

ونهض (محمود) قائلًا :

ـ حقًا .. إننا لن نتأخر عليك .

ـ نعم .. ولكننى أحذركما ، إننى لن أبقى أكثر من ساعتين فقط ، وبعدها سأنصرف .

قال له زميلهما :

ـ ساعتين فقط ؟

ـ لا أكثر .. بعدها سأرحل بالسيارة ، وأترككما تبحثان عن مواصلة أخرى .

سارع (محمود) بالقول :

ـ حسن .. ساعتين فقط .. ولن نتأخر عليك .. لكن لا تبتعد كثيرًا عن هذا المكان .

استرخى (سامح) فى مقعده ، وهو يتناول المرطبات التى طلبها له صديقه ، وقد أخذ يتأمل المكان حوله ،

وهو يحس بتآلف مع الطبيعة السخية ، التى اجتذبت أناسًا من بقاع عديدة ، فى مناطق مختلفة من العالم ، للمجىء إلى هذا المكان .

وبينما هو مستغرق فى تأملاته ، لم يلحظ تلك الفتاة التى جاءت من داخل الفندق ، متجهة إلى أحد أركان الحديقة :

كانت الفتاة ترتدى بلوزة حريرية بلون الفيروز ، وبنطلونًا أسود فضفاضًا ، وقد أخذت تسوى خصلات شعرها التى تهدلت فوق جبينها ، من أثر نسمات الهواء الرقيقة .

بدت بشعرها الذهبى المتهدل فوق كتفيها ، وبشرتها البيضاء العاجية ، وتلك الابتسامة المشرقة ، التى استقبلت بها إحدى السائحات ، وهى تسألها عن أمر ما ، آية فى الجمال والعذوبة .

اتخذت الفتاة طريقها نحو إحدى الموائد الخالية ، وهى تتهادى بخطوات رشيقة ، وقوام ممشوق زادها جمالًا .

لكنها لم تلبث أن توقفت فى مكانها جامدة للحظة ، عندما وقعت عيناها على (سامح) الذى كان مستغرقًا فى تأملاته للطبيعة .. والذى كانت مائدته على بعد ثلاثة أمتار تقريبًا ، من المائدة التى اختارتها لنفسها .

ظلت الفتاة جامدة فى مكانها ، وقد تجلى فى عينيها خليط غريب من العواطف والانفعالات النفسية ، وأحست باضطراب شديد ، من أثر الدهشة التى استولت عليها لرؤيتها (سامح) ..

نادت الفتاة أحد القائمين على تقديم المشروبات بالحديقة ، لتسأله .

ـ (على) .. من هذا الشاب الجالس هناك ؟

نظر النادل إلى حيث أشارت الفتاة ، وقد بدا مندهشًا لسؤالها .. ثم قال وهو يهز رأسه :

ـ فى الحقيقة .. لا أعرفه يا آنسة (دعاء) .

عادت لتسأله قائلة :

ـ أهذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها إلى هنا ؟

عاد لينظر إليه ، وهو يجهد تفكيره قائلًا :

ـ أعتقد ذلك .. لقد جاء مع اثنين من المهندسين ، الذين يعملون فى مشروع القرية السياحية .. لكنى واثق بأنها المرة الأولى التى يأتى فيها معهما .. فأنا أعرف الكثيرين ، من أولئك العاملين فى تشييد تلك القرية ، ولم ألحظه مع أى منهم من قبل .

صمتت الفتاة برهة دون أن ترفع عينيها عنه .. قبل أن تقول :

ـ وأين زميلاه ؟

أجابها قائلًا :

ـ لا أدرى .. لقد رحلا منذ لحظات ، إنهما يذهبان غالبًا إلى النادى الليلى .

وظلت الفتاة على صمتها ، وهى ترقب (سامح) .. فسألها النادل :

ـ أى خدمة أخرى يا آنسة (دعاء) ؟

التفتت إليه قائلة :

ـ كلا .. شكرًا يا (على) .

ولاحظ الرجل اهتمامها الشديد بـ (سامح) .. فعاد ليسألها قائلًا :

ـ أتريدين أن أخبره بشىء ؟.. أو أدعوه إلى التحدث إليك ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. لاداعى لذلك .. إنه يبدو فقط شديد الشبه بشخص أعرفه ، لكنى أعتقد أنه ليس هو الشخص الذى أظنه .

وانصرف النادل ، فى حين جلست (دعـــاء) فى مقعدها ، دون أن ترفع عينيها عنه ، وقد أخذت تتساءل :

ـ تُرى .. أيكون هو حقًا ؟ ربما يكون الضوء المنبعث فى الحديقة خافتًا وخادعًا إلى حد ما .. فجعلها ترى شخصًا آخر يُشبهه .

ولكن لا .. لايمكنها أن تكون قد أخطأت فى تعرُّفه .. لقد أكدت لها أحاسيسها أنه هو .. بأكثر مما أكدته لها عيناها .. إنه هو (سامح) .. ولايمكن أن يكون أحدًا سواه .

ولكن .. ما الذى جاء به إلى هنا ؟ هل جاء ليلتقى بها ؟ أما زال يتذكرها ، بعد كل تلك السنوات التى مضت ؟ هل عرف أنها تدير هى وأبوها ذلك المكان ، فجاء من أجل أن يلقاهما ؟ أم أن مجيئه إلى هنا كان بالمصادفة المحضة ؟

ان (على) أخبرها أنه جاء بصحبة مهندسين ، من العاملين فى مشروع القرية السياحية .. وربما كان يعمل معهم .. نعم لقد افترقا وهو طالب فى السنة الثالثة بكلية الهندسة .. ولابد أنه تخرج وأصبح مهندسًا .. وأن الاختيار قد وقع عليه ليكون ضمن القائمين على تنفيذ ذلك المشروع .

لكن (على) أكد لها ، أنها المرة الأولى التى يأتى فيها إلى هنا .. كما أنها لم تلحظ وجوده من قبل .. برغم أن الكثيرين من زملائه يترددون على ذلك المكان .. فهل عرف بوسيلة ما .. أنها موجودة هنا .. فأتى ليراها ؟

ربما كانت واهمة فى تخيلاتها .. فهى لا تظن أنها كانت تحظى باهتمام كبير منه ، عندما كانا جيرانًا ، فى ذلك

المنزل الذى جمعهما بالمنيل .. فما الذى سيجعله شديد الاهتمام بها هكذا .. إلى حد حضوره من أجل لقائها ؟ لابد أنه جاء مثل الآخرين للتسرية عن نفسه .. والتخلص من عناء العمل ، بقضاء بعض الوقت فى الفندق .

ولكن حتى لو لم يكن قد جاء من أجل لقائها .. فليس من المعقول أن يكون قد نسيها تمامًا .. لابد أنه مازال يتذكرها .. ولو رآها أمامه الآن ، فسوف يندفع نحوها ويناديها .

إن الأضواء خافتة إلى حد ما .. فى حديقة الفندق .. عدا تلك الأضواء المتناثرة بالقرب من الموائد .. وليس أمامها سوى وسيلة واحدة ، للتأكد مما إذا كان لايزال يتذكرها أم لا .

وهى أن تغادر تلك المائدة التى تجلس عليها ، وتنهض لتسير أمامه فى تلك الدائرة الضوئية الممتدة أمام مائدته .. إنها كافية لتجعله يراها بوضوح ، ويتعرفها .. ولو لم يكن يعرف حقًا بوجودها فى ذلك المكان .. فلابد أن المفاجأة بالنسبة له ستكون كبيرة .

ونفذت (دعاء) خطتها ، فغادرت مائدتها ، وتعمدت أن تسير بخطوات هادئة أمام مائدته .

لكنه لم يلتفت إليها .. وعادت (دعاء) مرة أخرى من حيث أتت ، وهى تتعمد هذه المرة أن تتلكأ قليلًا أمام المائدة .

كانت واثقة هذه المرة بأن عينيه قد وقعتا عليها .. وأنه رآها بوضوح ، لكنه لم يتعرّفها .. ولم يبد حتى أية إشارة تدل على أنه يتذكرها .. فى حين تأكدت هى من أنه (سامح) ، ولاشخص آخر سواه .

تألمت (دعاء) كثيرًا ، لأنه قد نسيها على ذلك النحو .. وقالت لنفسها :

ـ حتى لو كان قد تعرّفنى .. فلم يكن ليبدى اهتمامًا كبيرًا باستعادة ذكريات الماضى .. فلم أكن سوى جزء ضئيل من هذه الذكريات .

وفكرت (دعاء) فى أن تتحدث إليه ، وتذكره بنفسها .. لكن كرامتها لم تسمح لها بذلك .. فما دام لم يتذكرها ، فعليها إذن أن تتجاهله .

ولكن .. كيف تتجاهله ، وهو الإنسان الوحيد الذى أحبته طوال حياتها ؟

ربما كانت صغيرة السن وقتها .. وربما قالت لنفسها فيما بعد ، إنها لم تكن سوى مشاعر هوائية لفتاة مراهقة .

لكن الأيام والسنين ، أثبتت لها دائمًا ، أن الأمر لم يكن على هذا النحو ، وأنها بالفعل لم تستطع أن تعجب بشخص وتحبه ، مثلما أعجبت بـ (سامح) وأحبته .

لقد التقت بأشخاص كثيرين ، وتودد إليها الكثيرون منذ رحيلها عن القاهرة ، ومفارقتها لمنزلها القديم بالمنيل .. ولكنها لم تستطع أن تجد فى أى من هؤلاء من يماثل فى نظرها (سامح) .. ولم تتفتح مشاعرها لشخص ، مثلما تفتحت له فى صباها المبكر .

إنه الشخص الوحيد ، الذى عاش فى خيالها وأحلامها ، مثلما عاش فى واقعها .

وإذا كان الواقع قد فرق بينهما ، فإنه لم يغادر خيالها وأحلامها مطلقًا ، وكلما رأت أحد أولئك الأشخاص ، الذين كانوا يسعون لخطب ودها ، لم تكن تستطيع أن تمنع نفسها ، من أن تعقد مقارنة بينه وبين (سامح) ، لتجد الفرق شاسعًا بين الاثنين .. وأن عواطفها ما زلت منجذبة إليه ، برغم فراق السنين .

إن الاضطراب الشديد الذى حدث لها الآن .. خفقان قلبها .. وتورد وجهها ، فرحتها الغامرة لرؤيته .. رجفة جسدها .. لهفتها للتحدث إليه .. وتمنيها أن يكون ما زال يذكرها .. كل ذلك يؤكد صدق مشاعرها ، وأن شخصًا آخر

لم يحدث فى نفسها أثرًا ، كالذى أحدثه ذلك الشخص .. لكن كرامتها ما زالت تحول بينها وبين أن تذهب إليه ، وتذكره بنفسها . إنها لم تكن تأمل بأن تترك فى نفسه ذات الأثر ، الذى تركه فى نفسها ، ولكن لم تكن تتصور أنه قد نسيها تمامًا إلى هذا الحد .

وبينما هى ما زالت فى ترددها ، حضر إليها أحد موظفى الفندق قائلًا :

ـ آنسة (دعاء) .. إن والدك يريد منك أن تذهبى إليه .

سألته قائلة :

ـ أين هو ؟

أجابها قائلًا :

ـ فى غرفته .

وبدت مترددة قليلًا فى الذهاب .. لكنها قالت له :

ـ حسن .. أخبره أننى قادمة إليه .

وعادت لتتلكأ مرة أخرى فى السير أمامه .. لكنه ظل على ما هو عليه لا يلحظ وجودها .

وأحست بالغضب من جراء ذلك .. فاندفعت فى خطوات عصبية تجاه مبنى الفندق ، لمقابلة أبيها .

لكنها توقفت أمام الباب ، وهى تلتفت وراءها لتلقى نظرة أخرى عليه ، داعية الله ألا ينصرف فى أثناء غيابها .

استقلت (دعاء) المصعد إلى الطابق الرابع ، حيث توجد حجرة أبيها .. كان باب الغرفة مواربًا قليلًا .. فطرقته مرتين ، ثم فتحته قائلة :

هل أرسلت فى طلبى يا صديقى العزيز ؟

وكان ذلك النداء هو ما اعتادت أن تنادى به أباها دائمًا ، كلما كانا بمفردهما .

لكنها توقفت عن الاسترسال فى الكلام فجأة ، عندما رأت أن أباها ليس بمفرده ، وإنما كان جالسًا معه (حمدى) ابن عمها .

هب (حمدى) واقفا .. ثم اندفع نحوها بابتسامة عريضة ، وهو يحييها قائلًا :

ـ فى الحقيقة أنا الذى طلبت أن ألقاك يا ابنة عمى العزيزة .

تطلعت إليه بدهشة قائلة :

ـ (حمدى) .. لم أكن أعلم أنك هنا .

أمسك بمرفقها ، وهو يقودها إلى الداخل قائلًا :

ـ وصلت من فورى .. وأنا مضطر للانصراف بعد نصف ساعة ، للحاق بالطائرة المتجهة إلى القاهرة .. لذا كان لابد لى من أن أراك قبل انصرافى .. إننى مسرور لأنى أراك فى صحة جيدة .. وكذلك عمى ، إن صحته طيبة للغاية .

قالت له (دعاء) :

ـ لقد غبت عنا هذه المرة شهرين كاملين .

ابتسم قائلًا :

ـ إننى سعيد لأن أراك وكأنك قد افتقدتنى .

ـ ولِمَ لا .. ألست ابن عمى والمسئول عن هذا الفندق ؟

مط شفتيه وهو يدعوها إلى الجلوس قائلًا فى خيبة أمل :

ـ فقط ؟

نظرت إليه بدهشة ، وقد أدركت مغزى سؤاله .. لكنها غيرت مجرى الحديث قائلة :

ـ ما هى أخبار أعمالك التجارية ؟

ـ بخير .. إن أعمالى رائجة .. وقد تمكنت خلال الفترة الماضية ، من فتح فرع ثالث ، لشركة التصدير والاستيراد ، التى أمتلكها فى ألمانيا .

ـ هذه أنباء طيبة .

ـ إن أعمالى تتسع .. وأرباحى تزداد .. والحمد لله على أننى قد استطعت أن أحقق ذلك النجاح ، الذى طالما تمناه لى أبى .

وتحدث أبوها إليه قائلًا :

ـ كان أخى يقول دائمًا .. إننى أعمل فى التجارة منذ سنوات طويلة ، ولكننى أقنع منها بالربح البسيط .. ولا أملك جسارة المخاطرة ، فيكفينى أن أكون رجل أعمال صغيرًا وعلى نطاق ضيق .. أما ابنى فهو شديد الطموح ، وأتوقع له أمرًا من اثنين : إما خسارة فادحة ، تجعله يُضيع فى المستقبل كل ما حققته ، أو نجاحًا باهرًا يقذف به إلى مصاف كبار رجال الأعمال .

ابتسمت (دعاء) وهى تقول لـ (حمدى) :

ـ وهأنتذا قد أصبحت من كبار رجال الأعمال .. تمتلك فندقًا فى سيناء ، وآخر فى الغردقة .. وشركة تجارية كبيرة ، بالإضافة لبعض العقارات الأخرى .

ضحك (حمدى) قائلًا :

ـ هل أعتبر هذا حسدًا ؟

ابتسم الأب قائلًا :

ـ وكيف نحسدك ونحن نعمل لديك .. وبمرتبات لم نكن نحلم بها ؟

نظر إليه (حمدى) معاتبًا وهو يقول :

ـ لا تقل هذا أبدًا .. إن المال مالك .. أنسيت أنك عمى ، وأن (دعاء) ابنة عمى ؟!

إنكما أسرتى الوحيدة المتبقية بعد رحيل والدى .. وأكبر دليل على ثقتى التامة بكما هو أننى قد تركت لكما تولى شئون هذا الفندق وإدارته على النحو الذى تريانه .

قالت له (دعاء) مداعبة :

ـ نعم .. ولكن لا تنس أننا نحقق لك أرباحًا .. فأنت على كل حال لا تخاطر بنقودك .

نظر إليها أبوها بلوم ، وهو يحذرها قائلًا :

ـ (دعاء) !

بينما ضحك (حمدى) وهو يلتفت إليه قائلًا :

ـ دعها تقل ما تشاء .. فلا أحب لدىّ من مداعبتها .

ثم نظر إليها قائلًا :

ـ نعم .. أعرف أنكما تحققان أرباحًا طيبة فى ذلك المكان .. وأن عمى يدير ذلك الفندق بنجاح باهر .. ولكن حتى لو كان العائد السنوى من وراء ذلك الفندق ، سينتهى بى إلى خسائر .. فلم أكن لأتخلى عنكما مطلقًا ..

قال له الأب :

ـ أشكرك يا بنى ..

بينما قالت له (دعاء) وهى تتصنع الجدية :

ـ أما أنا .. فلم أكن لأقبل ذلك .. كنت قد فصلتك على الفور .

ومرة أخرى عاد الأب ليرمقها بنظرة معاتبة .
بينما ازدادت ضحكات (حمدى) وهو يقول :
ـ هل أنت قاسية إلى هذا الحد ؟ ألا يوجد أى اعتبار لصلات القرابة ؟
قالت له (دعاء) بدلال :
ـ لا قرابة فى العمل .. كما تقولون بلغة رجال الأعمال .. العمل هو العمل .. ألا تقولون ذلك ؟
ابتسم (حمدى) قائلًا :
ـ إننى لا أستخدم هذا المبدأ دائمًا ، وبالنسبة لكل الحالات .

★ ★ ★



٥ ـ لقاء ورحيل ..

وتذكرت (دعاء) أنها تركت (سامح) جالسًا فى الحديقة ، فعاودها الاضطراب ، واختفت تلك الروح المرحة ، التى كانت تبدو عليها منذ قليل .
ولاحظ (حمدى) ذلك .. فسألها قائلًا :
ـ تُرى ما الذى ألم بك ؟
تخلصت (دعاء) من شرودها قائلة :
ـ هه ؟.. ماذا قلت ؟
ـ أقول إنك قد تبدلت بغتة .. وخُيِّل لى أنك قد شردت بعيدًا .
اصطنعت ابتسامة زائفة وهى تقول :
ـ كلا .. لقد تذكرت فقط أمرًا مَا .
وعمدت إلى تبديل الحديث قائلة :
ـ ألا تستطيع أن تبقى معنا إلى الغد ؟
أجابها قائلًا :
ـ كنت أتمنى ذلك .. لكن ظروف عملى لاتسمح .
نهضت قائلة :

ـ ومتى نراك ثانية ؟

ـ سأنهى بعض الأعمال فى القاهرة .. ثم أعود إلى ألمانيا ؛ لإجراء عدد من الاتصالات بالعملاء هناك .. وربما آتى إلى هنا فى نهاية الأسبوع القادم .

والآن أيمكننى الانصراف ؟

ـ سريعًا هكذا ؟! إننا لم نتحدث معًا بعد ..

ثم أردف :

ـ آه .. حقًا .. تذكرت .. هل تعرفين أن الحديث معك قد شغلنى ، حتى أننى كدت أن أتأخر عن اللحاق بالطائرة ؟

ضحكت (دعاء) قائلة :

ـ الحمد لله .. وإلا كنت قد طالبتنى بثمن التذكرة .

ـ من أجلك يمكننى التضحية بثمن استئجار طائرة خاصة .

ـ يحق لك أن تتباهى أمامى ، باستئجار الطائرات الخاصة .

قال الأب وهو يتصنع الغضب :

ـ لقد ازدادت هذه الفتاة شقاوة فى الآونة الأخيرة .

ابتسم (حمدى) وهو يرمقها بنظرة إعجاب قائلًا :

ـ وازدادت جمالًا أيضًا .

تورد وجه الفتاة .. لكنها تغلبت على خجلها ، وهى تمازح أباها قائلة :

ـ كيف تدعه يغازلنى هكذا أمامك ، دون أن تبدى شيئًا من الغضب يا صديقى العزيز ؟

قال (حمدى) :

ـ وكيف يغضب وأنا لا أذكر سوى الحقيقة ؟

ونظر فى ساعته قائلًا :

ـ والآن أستودعكما الله .. إننى مضطر لترككما الآن ، حتى ألحق بالطائرة ..

وعندما صافح (دعاء) أحست بأصابعه تضغط على يدها بطريقة غريبة ، لم تعتدها منه من قبل .

وعندما انصرف التفتت (دعاء) إلى أبيها قائلة :

ـ لا أعتقد أنه قد ناقشك فى شىء بخصوص أرباح الفندق ، أو الميزانية السنوية .

قال لها الأب :

ـ بالطبع لا .. فموعد الحساب الختامى للميزانية والأرباح لم يأت بعد .

ـ إذن لِمَ جاء ؟

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـ غريب أمرك يا (دعاء) .. وهل يحتاج صاحب المكان إلى إذن مسبق ، لكى يأتى لزيارته ؟

ـ لا أعنى ذلك .. ولكن لقد جاء من القاهرة إلى هنـا ، لقضاء نصف ساعة فقط معنا ، ثم عاد ليستقل الطائرة مرة أخرى عائدًا إلى القاهرة .. وكأنه قد استقل سيارة أجرة مثلًا .

إن تذاكر السفر بالطائرات باهظة ، فى حين أن الأمر لم يكن يستحق أن يكلف نفسه عنـاء السفـر ، وسط ازدحـام جدول أعماله على هذا النحو الذى يتحدث عنه ، ودفع ثمن تذاكر الطائرة ذهابًا وإيابًا .

ابتسم الأب قائلًا :

ـ إن رجال الأعمال الأثريـاء ، من أمثـال ابن عمك ، لا يهتمـون كثيـرًا بأثمـان تذاكـر الطائـرات .. كمـا أنهــم يستخدمونها فى رحلاتهم ، كما يستخدم النـاس البسطـاء سيارات الأجرة .

ـ ولكنى ما زلت أجهل سبب حضوره .. إنه لم يأت حتى لقضاء يوم واحد فى فندقه للاستجمام .

ـ ربما جاء للاطمئنان على سير العمل .

نظر إليها بخبث وهو يستطرد قائلًا :

ـ أو ربما جاء من أجل شىء آخر .

تطلعت إليه (دعاء) قائلة :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ ربما جاء ليراك مثلًا :

ـ ما الذى تلمّح إليه يا أبى ؟

ـ أنت تعرفين ما الذى ألمح إليه .. إن (حمدى) ما زال يحمل لك مشاعر قوية ، وهو لم يتوقف عن الإعجاب بك ، منذ أن كنتما طفلين صغيرين ويتمنى لو قبلت أن تكونى زوجة له .

ـ هل طلب منك هو ذلك ؟

ـ ليس بطريقة مباشرة .. ولكنه هذه المرة بدا واضحًا فى حديثه معى ، بأكثر من ذى قبل .. أعنى أنه لمّح لى بأنه يريد أن يطلب يدك .

ـ وبماذا أجبته ؟

ـ لم أعطه إجابة محددة .. وتعمدت أن أتهرب من الرد المباشر ، فى انتظار رأيك .

ـ هذا أفضل .. أما عن رأيى فأنت تعرفه من قبل .. إننى لا أفكر الآن فى الزواج .

سألها قائلًا :

ـ ومتى تفكرين فى الزواج يا (دعاء) ؟.. عندما يتقدم بك العمر ؟

ابتسمت قائلة :

ـ هل سئمت منى يا صديقى العزيز ؟

قال لها بلهجة جادة :

ـ إننى لا أمزح .. بل أتحدث بطريقة جدية .
ـ عندما يأتى النصيب سأخبرك .. ولكن حتى لو فكرت فى الزواج، فلن يكون (حمدى) هو الزوج الذى سأختاره.
سألها قائلًا :
ـ لماذا يا بنيتى ؟ وما عيب (حمدى) ؟! رجل أعمال ناجح وثرى ، وأى فتاة فى الدنيا تتمناه .. فضلًا عن أنه يحبك وليس غريبًا عنا .
ـ ولكنى لا أحمل له سوى مشاعر الأخت نحو أخيها .
ـ ولماذا لا تمنحين مشاعرك الفرصة ، لكى تريه بصورة مختلفة ؟
ـ لو كان يمكن لمشاعرى أن تختلف ، لكنت قد أحسست بذلك، ولكنى لا أرى فى (حمدى) سوى أخ لى.
قال لها الأب بضيق :
ـ ولكن هذا تفكير خاطئ .. إن (حمدى) يحبك ، ولم ينقطع عن حبه لك منذ أن كنتما طفلين صغيرين ، ومستعد لكى يجعلك تعيشين معه كأميرة .. أتظنين أن شخصًا مثله ، جاب أنحاء العالم .. ولديه ما لديه من مال وإمكانيات ، يعجز عن أن يتزوج من أية فتاة ، تملك كل مقومات الجمال والثراء والأصل العريق ؟
ـ بالطبع .. لا أشك فى ذلك .. وسأكون سعيدة من أجله لو تزوج من فتاة تستحقه .

ـ ومع ذلك فهو يفضلك أنت عن أية فتاة أخرى .. ولم يجعله ثراؤه ولا رحلاته فى أرجاء العالم ، ولا كل تلك الفتيات الجميلات التى التقى بهن يتغير فى شعوره نحوك .
ـ وأنا أيضًا لم يتغير شعورى نحوه .. إنه ابن عمى ، وبمثابة أخ لى وصديق .
هز الرجل رأسه قائلًا بنبرة يائسة :
ـ من المؤسف أن يكون هذا هو شعورك .
أحاطت (دعاء) كتفه بذراعها قائلة ، ومحاولة تهدئة خواطره :
ـ من المؤكد أن كلًا منا سيلقى الشخص الذى يستحقه .
نظر إليها أبوها قائلًا :
ـ كنت أتمنى لك السعادة .
ـ ألن أجد سعادتى إلا مع (حمدى) ؟
ـ إننى سأكون مطمئنًا على الأقل ، من أنه سيوفر لكِ حياة رغدة ، ويؤمن لك مستقبلك .
ـ الثراء والحياة الرغدة لا تعنى بالضرورة حياة سعيدة .
ـ ومن أين تأتى السعادة إذن ؟

ـ من حياة يظلها الحب والتفاهم والمشاعر الدافئة .
هز الأب رأسه قائلًا :
ـ كلام روايات .. ومع ذلك فإننى أؤكد لك أن (حمدى) يحبك .
ـ ومن أين جئت بهذه الثقة ؟ ألا يحتمل أن تكون الألفة وذكريات الطفولة والصبا ، وصلة القرابة ، وكل تلك الأشياء ، هى التى دفعت (حمدى) إلى التعلق بى ؟ هناك مشاعر أخرى نظنها حبًا ، لكنها لا تكون كذلك بالمرة ، برغم أنها فى كل مظاهرها تتشابه مع مشاعر الحب .
نظر أبوها إليها قائلًا :
ـ أحيانًا .. لا أفهمك .
ابتسمت قائلة :
ـ هذا أفضل .. دعنا من ذلك الآن .
ثم قالت له بعد برهة من التردد :
ـ أتعرف من هو الشخص الذى رأيته فى حديقة الفندق اليوم ؟
سألها قائلًا :
ـ هل هو شخص نعرفه ؟
ـ بالطبع .. تعرفه جيدًا .
ـ إذن من هو ؟
ـ (سامح) .

قال لها وهو يحاول أن يتذكر الاسم :
ـ (سامح) من ؟
ـ (سامح فهمى) .. ابن طنط (نوال) .. جارتنا فى المنيل .
تذكر أبوها الشاب فى الحال ، فهتف قائلًا :
ـ (سامح فهمى) .. ابن الحاج (فهمى) رحمة الله عليه .. هل هو هنا حقًا ؟
قالت له (دعاء) ، وقد سرت لتذكر أبيها للشاب قائلة :
ـ نعم .. لقد رأيته منذ قليل جالسًا فى حديقة الفندق .
قال لها الأب :
ـ أيكون قد أتى لزيارتنا ؟ أم أنه جاء إلى هنا بمحض الصدفة ؟
ـ لا أدرى .
ـ وهل تحدث إليك ؟
ـ كلا .
سألها بدهشة :
ـ ألم تحاولى أنت محادثته ؟
ـ نعم ..
سألها وقد ازدادت دهشته :
ـ لماذا :

ـ لأنه رآنى وتجاهلنى .

ـ ربما لم يتعرفك .. لقد مرت فترة طويلة منذ أن غادرنا منزلهم .

ـ إن سبع سنوات ليست بالفترة الطويلة .. ولم تفقدنى القدرة على أن أتعرّفه حينما رأيته .

ابتسم الأب قائلًا :

ـ ربما هو لم يتغير ، على النحو الذى تغيرت عليه .. إننى أذكر حينما تركنا ذلك المنزل فى المنيل ، أنك كنت صبية صغيرة .. أما الآن ، فأنت فتاة ناضجة .

ولكن لِمَ نضيع الوقت فى مثل تلك المحادثات ؟ دعينا نذهب إليه ونحادثه .

ـ فلتذهب أنت أولًا .. فأنا غاضبة منه ؛ لأنه لم يعرفنى .

نظر إليها الأب مليًا وهو يقول :

ـ ألم أقل لك إنك فتاة محيرة ؟ أحيانًا تتحدثين بحكمة سيدة أثقلتها التجارب والسنون ، وأحيانًا تتصرفين كطفلة صغيرة .

هيا بنا لنلتقى بذلك الشاب ، فقد أوحشنى كثيرًا .. ومجرد سماع اسمه أعاد لى ذكريات جميلة افتقدتها .

ولم تكن (دعاء) بحاجة إلى مزيد من الإلحاح .. فقد كانت أكثر منه اشتياقًا للتحدث إلى (سامح) ، ولم تكن ذكرياتها معه ، قد فارقتها قط .. فذهبت معه إلى حديقة الفندق .

ولكن عندما وصلا إلى هناك ، لم تجده جالسًا فى مكانه .. ولم يكن فى أى مكان آخر فى الفندق .. كان قد رحل هو وصديقاه .

أحست (دعاء) بحزن شديد لرحيله .. بل ولامت نفسها ، على أنها قد تركت الفرصة تضيع منها ، دون أن تتحدث إليه .. ورضيت بالذهاب لمقابلة أبيها .

★ ★ ★



٦ ـ رجل المتاعب ..

نهض (سامح) فى ساعة مبكرة ، وهو يتأهب لممارسة عمله بهمة ونشاط .. وما لبث أن سمع صوتًا خشنًا عاليًا من الخارج ، فعلم أنه المهندس (يسرى) قد عاد من فرع الشركة ، وبدأ فى ممارسة طريقته الفظة ، فى معاملة العاملين معه .

اقترب (سامح) من موقع العمل ، فرأى (يسرى) يرفع صوته عاليًا ، وهو يصب غضبه على أحد العمال .

وما إن رأى (سامح) قادمًا ، حتى التفتَ نحوه وهو ينظر إليه شذرًا قائلًا :

ـ آه أنت قد جئت يا باشمهندس .. لماذا تأخرت ؟

قال له (سامح) فى هدوء :

ـ إننى لم أتأخر ، بل جئت فى موعدى المحدد تمامًا .

قال له (يسرى) :

ـ لكن الساعة ....

لكن (سامح) قاطعه بنبرات حاسمة قائلًا :

ـ ليس ذنبى أن ساعتك تقدم فى توقيتها .. يمكنك أن تصلحها لو شئت .. لكننى أعرف واجباتى والتزاماتى جيدًا .

قال له (يسرى) :

ـ وهل من واجباتك أن تفسد العاملين هنا فى أثناء غيابى ؟

ـ ماذا تعنى بعبارتك هذه ؟

نظر (يسرى) إلى العامل الواقف أمامه قائلًا :

ـ لماذا لم يقم ذلك العامل بالعمل المطلوب منه بالأمس ؟

ـ لقد كان مريضًا ، ويشكو من صداع شديد فى رأسه .. وطلب أن يحصل على راحة بالأمس .

ـ ومن الذى أعطاك الحق ، فى أن تمنحه هذه الراحة ؟! هل أحلته لطبيب الشركة لكى يوقع الكشف الطبى عليه ، ويقرر ما إذا كان مريضًا أم لا ؟

أم أنك وقعت الكشف الطبى عليه بنفسك ؟

ـ أولًا : لا تنس أن لى بعض السلطات هنا ، التى تماثل سلطاتك فى العمل ، وأعتقد أن من بينها ، سلطة منح العاملين هنا إجازة أو راحة ، لمدة لا تزيد على يومين ، عدا الإجازات الأسبوعية ، وخلال كل شهر من شهور العمل هنا .. خاصة فى حالة عدم وجودك ، حيث إننى أنوب عنك فى جميع سلطاتك ، ودون حاجة للعرض على طبيب الشركة .. ويمكنك أن ترجع إلى شروط التعاقد على هذا المشروع ، للتأكد من ذلك .

وقد استخدمت هذا الحق ، بموجب السلطة الممنوحة لى .. فلا يوجد ما يدعو لهذا الصخب .

ثانيًا : إن هذا العامل نفسه ، تعهد بأن يضاعف من جهده اليوم ، لينهى العمل المطلوب منه بالأمس واليوم .

قال العامل لـ (سامح) :

ـ سأنجز العمل المطلوب اليوم .

نظر إليه (سامح) قائلًا :

ـ يمكنك أن تنصرف لعملك يا (عبد الحميد) .

نظر إليه (يسرى) فى حنق قائلًا بعد انصراف العامل :

ـ إنك تنسى أحيانًا من هو الشخص المسئول هنا .

قال له (سامح) بهدوء :

ـ بل أعرف .. أعرف جيدًا أنك المسئول الأول هنا .. ولكن عندما تحدث إلىّ رئيس الشركة ، بخصوص عملى هنا ، أخبرنى أننى أيضًا سأتحمل قدرًا كبيرًا من المسئولية معك .. وأن إنجاز هذا العمل فى النهاية ، سينسب إلينا نحن الاثنين .

ـ إن ذلك لا يعطيك الحق ، فى أن تتجاهل مركزى هنا ، وفارق الخبرة بيننا .

قال له (سامح) بنفس النبرة الهادئة :

ـ ومن قال إننى أتجاهل مركزك ، أو أقلل من قدر خبرتك ؟

ـ الطريقة التى تحادثنى بها أمام العمال .

ـ لا أعتقد أننى أحادثك بطريقة غير لائقة .

ـ بل تفعل .. فهأنتذا الآن ، تتدخل فى طريقة تعاملى مع ذلك العامل ، وتلقى علىّ محاضرة فى الاختصاصات والمسئوليات أمامه .. ثم تسمح له بالانصراف دون أى استئذان منى .

ـ إننى لم أفعل سوى أننى كنت أجيب على استفسارك بشأنه ، واستفسارك بشأن مسئولياتى هنا .. وإذا كنا نريد من العامل أن ينجز العمل الموكول إليه ، فإنه كان يتعين علىّ أن أصرفه ليبدأ فى تنفيذ ذلك .. لأننا لن نجنى شيئًا من وراء تعطيله معنا هنا .

قال له (يسرى) بضيق :

ـ ألا تلحظ أنك تدلل العاملين هنا بأكثر مما يجب ؟ إن وراءنا عمل يتعين علينا إنجازه خلال فترة قياسية ، وبمواصفات فائقة الجودة .. فنحن هنا ندخل فى منافسة مع شركات أخرى ، تشاركنا ذلك العمل .. ولا وقت لدينا لتلك الطرق المثالية ، التى تتبعها فى تعاملك مع أولئك العاملين هنا .. فهم يتقاضون أجورًا عالية من أجل بذل الجهد المضاعف فى هذا المكان .

وإذا كنت تريد أن تنصب من نفسك زعيمًا لأولئك العاملين ، فابحث عن ذلك الدور فى مكان آخر .

ـ إن جميع العاملين هنا ، يؤدون بالفعل ما هو مطلوب منهم ، مقابل الرواتب التى يحصلون عليها .. لكنهم فى النهاية ليسوا عمال سخرة .. إن لهم حقوقًا وواجبات ، يتعين مراعاتها فى أى مكان يعملون به .. كما أنهم فى النهاية بشر ، يمرضون ويتعبون أحيانًا ، ويتعين علينا أن نراعى ذلك ، وندخله ضمن تقديرنا للظروف كرؤساء مسئولين عن ذلك المكان .. ولا علاقة لذلك بالزعامة التى تتحدث عنها .

قال له (يسرى) وقد ازداد ضيقه :

ـ كفانا كلامًا ، وقل لى ، ماذا صنعت بالرسوم الهندسية ؟ هل أعددتها للتنفيذ ؟ أم أنك عهدت بها إلى المهندس (محمود) برغم ما لديه من أعمال أخرى ؟

فتح (سامح) دولابًا صغيرًا ليخرج منه مجموعة من الأوراق الكبيرة قائلًا :

ـ ها هى ذى الرسوم الهندسية كاملة .

وتدخل (محمود) الذى كان قد اقترب من المكان فى هذه اللحظة قائلًا :

ـ لقد أعدها المهندس (سامح) بالكامل ، دون أى تدخل منى .

التفت إليه (يسرى) قائلًا بلهجة عدائية :

ـ ولماذا لم تقل لى ذلك من قبل ، عندما كنت أسأل عنها ؟

أجابه (محمود) بلهجة تنم عن كراهيته لذلك الشخص قائلًا :

ـ هذا لأنك لم تعطنى أى فرصة لإخبارك بذلك ، وصببت غضبك على ذلك العامل المسكين .

لاحظ (سامح) ارتعاشة فى يد الرجل وهو يتحدث .. وقد تساقطت بعض قطرات من العرق على جبينه .. فقال له :

ـ إننى أستطيع تولى مسئولية العمل عنك يا باشمهندس (يسرى) ، خلال وردية الصباح لو أردت ، فأنا أراك بحاجة إلى الراحة .

قال له الرجل بانفعال ظاهر :

ـ من قال لك إننى فى حاجة إلى راحة ؟ إننى لست ممن يتهربون من العمل .

قال له (سامح) فى هدوء :

ـ هذا ما لا يجهله أحد منا .

قال له (يسرى) بلهجة تهكمية ، وهو يفرد الأوراق أمامه :

ـ كما أننى لا أضيع وقتى فى الذهاب إلى فندق الواحة .. وتمضية السهرات هناك .

رد عليه (محمود) قائلا :

ـ أعتقد أن هذه أمور شخصية لا يحق لك أن تتطرق إليها .. فكل منا حر فى المكان الذى يذهب إليه ، بعد انتهاء مواعيد العمل .. أم أنك تريد أن تنصب من نفسك وصيًا علينا ؟!

تحول إليه (يسرى) قائلا :

ـ إذا كنت سأجدك واقفًا بين العمال ، وأنت تترنح من شدة التعب ، وبنصف تركيز ، نتيجة سهرك فى ذلك الفندق ، فإننى أعتقد أنه يتعين علىّ فى هذه الحالة ، أن أتدخل وألفت نظرك لذلك .

(سامح) :

ـ إنك لم تحاول التدخل أو تفكر فى إثارة ذلك من قبل .. لكنى أعتقد أنك تتحدث عن ذلك اليوم ، لعلمك بأننى قد ذهبت إلى هناك بالأمس .. أليس كذلك ؟

قال له (يسرى) :

ـ ليس هناك شىء شخصى بينى وبينك يا باشمهندس .

قال له (سامح) بإصرار :

ـ بل هناك شىء شخصى .. وأريد أن أعرف السبب وراءه .. لماذا هذا العداء الذى تبديه نحوى ؟

ـ إنك لا تعنينى فى شىء ، وكل ما يهمنى هو أن يكون الجميع ملتزمين هنا .

ـ لا يوجد هنا أحد غير ملتزم .. والالتزام لا يعنى إلغاء العلاقات الإنسانية ، وإعطاء قدر من المرونة لصالح العمل .

قال له (يسرى) فى خشونة :

ـ لكل منا طريقته .. وما دمت أنا المسئول الأول هنا .. فسوف تتبع طريقتى وأسلوبى فى العمل .

ـ آسف .. إننى لن أتبع إلا ما أجد فيه صالح العمل بالفعل .

ـ إذن سيظل الخلاف بيننا قائمًا ، إلى أن يفصل فيه رئيس الشركة .. وسوف أرسل له مذكرة ضدك .

ـ افعل ما شئت ، ولكنى كما قلت لك ، لن أفعل إلا ما أجد فيه صالح العمل بالفعل ، ووفقًا لما يمليه علىّ ضميرى .

وتركه (سامح) وانصرف ليباشر العمال والمهندسين .. فى حين شيعه (يسرى) بنظرة تنم عن البغض ، وذهب ليباشر عمله أيضًا .

استمر (سامح) فى مواصلة عمله بهمة ونشاط ، وهو يشجع الرجال على أداء أعمالهم ، ويثير حماسهم .

وكان ثابتًا وهادئا كعادته ، وتظاهر بأنه لا يسمع سخط البعض منهم ، من الطريقة التى يتعامل بها المهندس (يسرى) معهم .. لكن رزانته ، ومجرد وجوده ، كانا كالبلسم وسط العمال ، واستطاع بأسلوبه أن يمتص الكثير من انفعالاتهم ، إزاء غطرسة (يسرى) .

وكان أخشى ما يخشاه ، أن يؤدى أسلوب (يسرى) ، وطريقته فى التعامل مع العاملين هنا ، إلى خلق المشاكل ، ونفاد صبر العاملين فيعتدى بعضهم عليه ، أو يتركون العمل وينصرفون ، خاصة وأن الجهد والمشقة ، اللذين كانوا يبذولونهما هنا ، كانا غير عاديين ، وكفيلين بتوتر الأعصاب ، دون حاجة إلى أى مؤثرات أخرى .

* * *



٧ ـ ذكريات ..

غسل (سامح) وجهه ، وارتدى ثيابه على عجل ، فسأله صديقه (محمود) قائلًا :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

ـ إلى فرع الشركة .. أريد أن أجرى اتصالًا تليفونيًا هناك بأمى .

ـ ولِمَ تحمّل نفسك مشقة الذهاب إلى فرع الشركة ، بعد كل الجهد الذى بذلته فى وردية العمل اليوم ؟ لماذا لا تأتى معنا إلى الفندق ، وتجرى اتصالك التليفونى من هناك ؟

ـ الفندق مرة أخرى ؟!

ـ إنك لا تستطيع أن تنكر أنك قد قضيت وقتًا طيبًا هناك .

ـ كلا .. إن المكان جميل ومريح للأعصاب .

ـ إذن تعال معى .. فمن ناحية تجرى اتصالك التليفونى ، ومن ناحية أخرى تريح أعصابك بعد مشقة العمل .

فكر (سامح) برهة .. ثم قال :

ـ فكرة طيبة .. سآتى معك .

ـ قال له (محمود) وهو يصحبه إلى خارج الغرفة :
ـ ولكن لا تتعجل العودة .. كما فعلت فى المرة السابقة .
ابتسم (سامح) قائلًا :
ـ أنت تعرف أننى لست من هواة السهر إلى وقت متأخر .. ولكن يمكنك أن تتصرف أنت بوقتك كيفما شئت .. فأنا لا أريد أن أشعر بأننى أمثل قيدًا على حريتك .. وسأعود أنا إلى القرية السياحية بالوسيلة المناسبة .
أمسك (سامح) بسماعة الهاتف ، وهو يتحدث إلى أمه بلهفة قائلًا :
ـ نعم يا أمى .. إننى بخير .. كيف حالك أنت ؟ ما هى أخبار صحتك ؟ هل أنت بخير ؟
وظل (سامح) يتحدث إلى أمه قرابة نصف الساعة ، حتى تمكن من الاطمئنان على أحوالها وسلامة صحتها ، فى حين كان (محمود) قد سبقه إلى النادى الليلى ، وتوعدا على أن يلتقيا فى الحديقة كما فى المرة السابقة .
وما إن انتهى (سامح) من مكالمته ، حتى اتجه صوب حديقة الفندق ، وقد اعترته حالة من الهدوء والطمأنينة ، بعد اتصاله بوالدته ، زادها هدوء المكان وسكينته ، ومظهر الحديقة الذى يبعث البهجة فى النفس .

وجلس فى الركن الذى اعتاد الجلوس فيه ، وهو يتصفح كتابًا أحضره معه .
وفيما هو مستغرق فى مطالعة الكتاب ، إذا به يسمع صوتًا خافتًا يناديه قائلًا :
ـ أستاذ (سامح) .
اعترته الدهشة ، وهو يستمع إلى ذلك الصوت النسائى الخافت .. فالتفت خلفه ، ليراها واقفة على مقربة منه .
ونهض من فوق مقعده ، وهو يحدق فيها قائلًا :
ـ معذرة .. هل ناديتنى ؟
كانت بعيدة عن دائرة الضوء قليلًا .. فاقتربت أكثر وهى تقول :
ـ أما زلت لا تعرفنى ؟
ارتسمت ملامح الدهشة على وجهه ، وهو يهتف قائلًا :
ـ (دعاء) !!
تورد وجهها وهى تبتسم قائلة :
ـ كنت أظن أنك لن تتعرفنى أبدًا .
ومدت إليه يدها لتصافحه ، فتناولها بكلتا يديه ، وهو يشدد الضغط عليها ، وقد اعترته عاطفة قوية قائلًا :
ـ وكيف يتسنى لى ألا أعرفك ؟
قالت له (دعاء) :

ـ لقد حدث ذلك من قبل .. فقد رأيتك جالسًا فى ذلك المكان منذ ثلاثة أيام ، ومررت أمامك أملًا فى أن تتعرفنى .. لكنك لم تشعر بوجودى مطلقًا .

ـ لابد أننى كنت شارد الفكر ، أو لم ألحظك تمامًا .. ولكن قولى لى ، هل أنت حقًا (دعاء) .. أم أننى أحلم ؟

ـ هذا ما ظننته أنا أيضًا عندما رأيتك أول مرة .. ولكن هأنتذا ترى أننا فى كامل يقظتنا ، وأننا قد التقينا ، بعد كل تلك السنين التى باعدت بيننا .

ـ لكن ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ هل تقضين إجازتك فى ذلك الفندق ؟

ـ هذا أمر يطول شرحه .. ألن تدعونى للجلوس إلى مائدتك أولًا ، أم أن هذا يعد تطفلًا منى ؟

قال لها (سامح) وهو يناضل انفعاله لرؤيتها المفاجئة :

ـ كيف تقولين ذلك ؟ تفضلى بالجلوس .

كانت الفتاة تناضل مثله ، لكى تتمالك عواطفها .. لكن سعادتها بالجلوس معه ، بعد تلك الفترة الطويلة التى تباعدا خلالها ، كانت واضحة تمامًا ، ولا يمكن إخفاؤها .

سألها قائلًا وهو ينادى (الجرسون) :

ـ ماذا تشربين ؟

ضحكت قائلة :

ـ بل .. إنك مدعو اليوم على حسابى ، ويمكنك أن تطلب ما شئت .

ثم نادت (الجرسون) وطلبت منه أن يحضر لهما كوبين من العصير .

سألها قائلًا :

ـ ولكن لِمَ لم تحدثينى فى المرة السابقة عندما رأيتنى؟

ـ أقول لك الحق .. لقد تألمت لأنك لم تتعرفنى .

نظر إليها (سامح) قائلًا :

ـ فى الحقيقة ، لقد وجدت صعوبة بعض الشىء فى تعرفك الآن ، فأنت الآن تختلفين كثيرًا عن الفتاة الصغيرة التى عرفتها من قبل .

ضحكت (دعاء) قائلة :

ـ تقصد الطفلة التى كنت تعرفها .. فبرغم إننا افترقنا وعمرى أربعة عشر عامًا ، إلا أنك كنت تدعونى بطفلتك الصغيرة ، أليس كذلك ؟

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ كان ذلك على سبيل المزاح .

ـ لكن طريقتك فى معاملتى ، كانت توحى إلىّ دائمًا بذلك .. إننى لا أزيد فى نظرك عن كونى طفلة .

تأملها بإعجاب قائلًا :

ـ على كل حال .. لم أعد أستطيع أن أدعوك بذلك الآن .. فأنا أرى أمامى الآن فتاة ناضجة ، زادتها السنون جمالًا وأنوثة .

تورد وجهها ، وهى تحاول ألا تظهر أمامه خجلها لما قاله .. برغم سعادتها لسماعها ذلك منه قائلة :

ـ أما أنت فلم تتغير كثيرًا عما كنت عليه .. وإن صرت نحيفًا عن ذى قبل .

ـ ربما هذا بسبب العمل .

ـ بالمناسبة .. ما هو عملك ؟ انتظر .. دعنى أخمن .. لابد أنك قد صرت الآن مهندسًا .. فعندما افترقنا كنت طالبًا فى كلية الهندسة .. أليس كذلك ؟

ابتسم قائلًا :

ـ تخمينك صحيح .. لقد أصبحت الآن أعمل مهندسًا ، فى إحدى شركات المقاولات الكبرى .. وأنا هنا من أجل ذلك .. فأنا أشارك فى تنفيذ مشروع القرية السياحية ، التى تقع على مسافة بضعة كيلومترات من هذا الفندق .

سألته قائلة :

ـ ما أخبار والدتك ؟ أعنى طنط (نوال) .

قال لها ونظرة امتنان فى عينيه ، لسؤالها عن والدته :

ـ والدتى بخير .. لقد تحدثت إليها اليوم تليفونيًا من الفندق ، للاطمئنان على صحتها .

قالت له فى لهفة :

ـ حقًّا .. هل يمكنك أن تعطنى نمرة الهاتف ، لكى أتحدث إليها ؟

ـ بكل سرور .. وأعتقد أنها ستسرّ لسماع صوتك .

ـ تُرى .. أما زالت تذكرنى ؟

أجابها (سامح) على الفور قائلًا :

ـ أعتقد أنها لم تنسك مطلقًا .. فقد كانت تحادثنى عنك كثيرًا بعد مغادرتكما للمنزل ، وقبل سفرى إلى هنا .. إنها كانت تعدك بمثابة ابنة لها .

قالت له (دعاء) وفى عينيها ما ينم عن صدق مشاعرها :

ـ إننى أحبها كثيرًا ، وكنت أعدها بمثابة أم لى ، وما زال هذا هو شعورى نحوها .

سألها (سامح) قائلًا :

ـ ولكن هأنتذى تنهالين علىّ بالأسئلة ، دون أن تمنحينى فرصة لسؤالك عن نفسك .

قالت له بدلال :

ـ سل ما شئت .

ـ ما أخبار والدك ؟

ـ إنه بخير .. وهو معى هنا فى ذلك الفندق .
ـ معك هنا ؟! إذن سيسعدنى أن ألقاه .
ـ بالطبع .. إنه فقط ينهى بعض الأعمال الهامة ، وسوف أجعلك تلتقى به .
نظر إليها (سامح) مليًا ، وهو يتفحصها ـ وكأنه يراها لأول مرة ـ على نحو أخجلها ، ثم سألها قائلًا :
ـ إنك لم تتزوجى حتى الآن كما أرى .
ـ نعم .. وهذا ما أراه بالنسبة لك أيضًا .
ـ ترى .. ما الذى يجعل فتاة جميلة مثلك ، لا تتزوج حتى الآن ؟
وقالت له (دعاء) وهى تبتسم :
ـ لأنها لم تلتق بعد بالرجل الذى يجعلها توافق على الاقتران به .
ـ أحقًا لم تلتق بذلك الرجل ؟
ـ ربما التقيت به ذات يوم .. لكنه لم يطلب الاقتران بى .
ـ يا له من رجل أحمق .
ـ هل تسمح لى بأن أسألك ذات السؤال ؟ لماذا لم تتزوج حتى الآن برغم أننى حسبما أرى ، أجدك أمامى مهندسًا ناجحًا ، وتعمل فى شركة كبيرة ؟
ـ لقد كدت أن أفعلها ، قبل أن آتى إلى ذلك المكان .

وخفق قلبها بشدة عندما سمعت ذلك .. وسألته بصوت خافت قائلة :
ـ ولِمَ لم تفعل ؟
ـ أحسست بأننى بحاجة إلى المزيد من التأنى والتفكير .
ـ ألا تحب هذه الفتاة التى كنت تنوى الزواج منها ؟
ـ فى الحقيقة إننى أراها صديقة أكثر منها حبيبة وزوجة .. وهذا ما دفعنى إلى التردد .. وإن كنت قد مرت بى لحظة ، أحسست فيها بأن الأمور .. أصبحت تتساوى بالنسبة لى فى هذا الشأن .
ـ ربما تظن أننى من الطراز القديم .. ولكنى أرى أن الحب هام جدًا بالنسبة للزواج .
ـ وهذا ما أراه أيضًا ، وإن كان الحب شيئًا نادرًا فى هذا الزمان .
ـ إنه موجود فى كل زمان ومكان .. لو قدرنا معانيه ، وفتحنا له قلوبنا .
ـ لم أعهدك رومانسية هكذا .
ـ أما أنا فقد عهدتك عقلانيًا أكثر من اللازم .
ابتسم (سامح) قائلًا :
ـ يبدو أنك تذكرين الكثير عنى .
قالت له بصوت خافت :

ـ إننى لم أنس شيئًا من تلك الأيام الجميلة ، التى قضيتها فى منزل المنيل .

أتريد أن أذكر لك بعض المواقف القديمة ، والتى ربما غابت عن بالك ؟

ـ يسعدنى ذلك .

أخذت تعدّد له العديد من المواقف ، وقد أسعدته هذه الذكريات بقدر ما آلمته .

فقد كانت كل هذه الأشياء ، التى تحدثت عنها ، من حوادث الماضى التى ذهبت ولن تعود .. وأدرك الآن ، كيف أن الوقت الذى قضياه فيما مضى ، كان سعيدًا .. وأنه تألم بالفعل لفراقها .. وكان ذلك اليوم الذى غادرت فيه منزلهم ، هى وأبوها من أتعس أيام حياته .

سألها قائلًا :

ـ ما زلت لا أعرف .. ما الذى أتى بك إلى هذا المكان ؟

ابتسمت قائلة :

ـ إننى وأبى ندير ذلك المكان .

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـ تديرانه ؟!

نعم .. عندما غادرنا منزل المنيل ، تنقل أبى فى بعض الأعمال التجارية .. فى الإسكندرية وفى بورسعيد .. لكنها

لم تحقق النجاح المرجو .. وانتهى بنا الأمر إلى السفر إلى كندا ، بدعوة من ابن عمى (حمدى) الذى كان يقيم هناك .

وعرض عليه ابن عمى ، فكرة إقامة بعض المشروعات التجارية فى مصر ، حيث كان يفكر فى العودة إلى الوطن ، والاستقرار فيه ، واستثمار أمواله فى تلك المشروعات .

ورحب أبى بالفكرة .. وبما أن أبى كان يمتلك خبرة سابقة فى الأعمال الفندقية ، فقد طلب منه (حمدى) أن يتولى مسئولية ذلك الفندق ، وإدارته نيابة عنه ، كأحد المشروعات التى يرغب فى استثمار أمواله فيها .. وهكذا جئنا إلى هنا ، أنا وأبى ، حيث عهد إلينا (حمدى) بإدارة ذلك الفندق ، مع عدد من الموظفين الأكفاء ..

ـ لابد أن ابن عمك هذا ثرى للغاية .

ـ إنه على وشك أن يدخل دائرة أصحاب المليارات !

ـ وهل يدر الفندق هنا أرباحًا مناسبة ؟

ـ نعم .. إنه يدر ربحًا جيدًا ، ويجد إقبالًا رائعًا من السائحين .. غير أننى لا أعتقد أن الأمر سيبقى كذلك ، بعد أن تنتهوا من إنشاء قريتكم السياحية ، التى تعملون بها .. فأنا أعرف أنها ستكون ذات إمكانيات كبيرة ، تتجاوز بكثير إمكانيات هذا الفندق الصغير .

قال لها (سامح) وملامح الأسف واضحة على وجهه :

ـ يؤسفنى أن يكون عملنا مصدر إزعاج لكم .
ضحكت وهى تنظر إليه قائلة :
ـ ولماذا تبدو متجهمًا هكذا ؟ لا يوجد ما يدعو لأسفك، فلكل مكان روّاده .. إننى أعتقد أن قرية سياحية بالمستوى الذى سمعنا عنه، وبتلك الإمكانيات الضخمة التى ستكون عليها، ستحتاج إلى نوعية خاصة من السائحين، الذين يملكون أيضًا إمكانيات، تتناسب مع الخدمات التى تقدم بها، أما بالنسبة لنا، فنحن نتعامل مع السائحين متوسطى الدخل، وبإمكانيات أقل تكلفة .. وهكذا فأنت ترى أن تلك القرية، لن تشكل منافسة قوية بالنسبة لنا .. بل ربما كانت مصدر جذب أكبر للسائحين، فى تلك البقعة، ويعم الخير على الجميع .
وفى تلك اللحظة حضر (محمود) ، الذى فوجئ بجلوس (سامح) مع (دعاء) .. فسعل قائلًا :
ـ يبدو أننى قد حضرت فى وقت غير مناسب .
ابتسم (سامح) قائلًا وإن كان فى نفسه تمنى لو أنه تأخر قليلًا :
ـ مطلقًا .. أقدم لكِ صديقى المهندس (محمود) .. من العاملين معى فى مشروع القرية .
وقدم له (دعاء) قائلًا :
ـ الآنسة (دعاء) .. صديقة قديمة هى ووالدها، وكانا

جارين لنا فى المنزل ، قبل أن يغادراه منذ سبع سنوات مضت .
صافح (محمود) (دعاء) مرحبًا .. وهو يقول لـ (سامح) :
ـ أرجو ألا يكون فى حضورى الآن تطفلًا .. ولكننى أعرف إنك تكره التأخر .. على كل حال .. يمكننى أن أذهب الآن ، وآتى بعد ساعة .
ابتسم (سامح) قائلًا :
ـ قل إنك ترغب فى قضاء ساعة أخرى فى النادى الليلى .. كلا ، لاداعى لذلك .. يتعين علينا أن نذهب الآن ، للحاق بالوردية المسائية .
اضطربت (دعاء) لفكرة رحيله المفاجئ .. فقالت له :
ـ ألا يمكن أن تنتظر قليلًا :
صافحها قائلًا :
ـ كنت أتمنى ذلك .. لكن ظروف العمل لا تسمح .. على كل حال سآتى مرة أخرى ، خاصة وأننى لم ألتق بأبيك بعد .. وأنا فى شدة الشوق لذلك .
سألته بلهفة قائلة :
ـ متى ؟
قال لها وهو يتأملها بعينيه قبل رحيله :
ـ ربما غدًا .

★ ★ ★

٨ ـ نظرة فى عينيك ..

أحس (سامح) بسعادة غير عادية ، وهو عائد إلى القرية السياحية .

لم يكن يصدق أنه سيراها بعد سبع سنوات كاملة ، افترقا خلالها .

إن (دعاء) تمثل ذكرى جميلة فى حياته ، لقد تربيا معًا فى هذا المنزل الذى ضمهما معًا ، وبرغم أنه كان يكبرها بثمانى سنوات .. وكان يتعمد أن يعاملها وكأنها تصغره بثمانية عشر عامًا .. إلا أنه كان يشعر بإحساس خفى بالسعادة ، كلما أتيح له أن ينفرد بها . كانت (دعاء) شيئًا مختلفًا فى حياته .

لقد عرف فى الجامعة فتيات كثيرات ، وكذلك فى حياته العملية كمهندس ، كان له الكثير من الزميلات ، وحاول بعضهن خطب وده ، والبعض الآخر سعين لنصب شباكهن عليه ، إلا أن أيًا منهن لم تحدث أى أثر حقيقى فى نفسه .

حتى (سحر) التى تماثله فى العمر ، والتى عرفها هى الأخرى منذ سنوات طويلة .. وبرغم الصلة القوية التى

تربط بينه وبينها ، والتى كادت أن تدفعه إلى التقدم لخطبتها ، إلا أن أيًا من أولئك لم يحدث فى نفسه ذلك الأثر ، الذى خلفته (دعاء) ، والذى عاد ليتجدد اليوم .

نعم .. إنه يشعر بذات الأثر ، الذى كان يحسه منذ سبع سنوات مضت .. الشعور بالبهجة والارتياح لوجودها .. تمامًا بنفس القدر الذى شعر به بالتعاسة ، عندما علم بأنها قد غادرت منزلهم فى المنيل .

إذن .. فلم يكن الأمر مجرد تعود ، أو مرتبط بذكريات الصبا .. إن لهذه الإنسانة مكانة خاصة عنده .

كان يحاول دائمًا أن يراها كطفلة .. خاصة عندما دخل إلى الجامعة ، وكانت هى ما تزال بعد تلميذة فى الإعدادية .

وكان كلما أحس بخفقان قلبه نحوها .. أو بشىء من العاطفة تجاهها .. يسارع باستنكار ذلك فى نفسه .. فكيف يتسنى له أن يحمل عاطفة ما تجاه فتاة صغيرة ، لم تتجاوز الأربعة عشر عامًا .. برغم أن من كان يراها ، كان يمكنه أن يضيف لها أربع سنوات أخرى ، وهى فى هذه السن .. خاصة مع ما حباها الله به من جمال أنثوى مبكر ، لكن شيئًا ما أقوى من كل الاعتبارات ، كان يربطه بهذه الفتاة الصغيرة .. ويدفعه إلى التعلق بها .

كان العمال قد فرغوا من عملهم ، وهدأ ضجيجهم وصياحهم ، وساد السكون ، وأرخى الليل سدوله على الصحراء .. فلم يكن هناك ما يقطع على (سامح) سيل أفكاره ، التى كانت تدور حول (دعاء) ، وما أضفته عليها السنون من جمال .. وابتسامتها المشرقة التى طالما أحبها .

لقد ظن أنه باستطاعته أن ينساها .. وأنه كان يبالغ فى مخاوفه تجاه مشاعره السابقة نحوها .. كم من مرات عديدة حاول الهروب من ذكرياته معها .. برغم أن تلك الذكريات كانت تطارده دائمًا ، وكلما استعاد تذكر لفتاتها التى طالما أحبها .. ومداعباتها الطريفة كلما جاءت إلى شقتهم فى المنيل ، كان يسرع بإبعاد تلك الأفكار عن رأسه ، برغم ماكانت تمنحه من لحظات مبهجة وسعيدة .. وبرغم حنينه إلى تلك الذكريات معها .

وفيما هو واقف أمام غرفته على هذه الحال ، إذا بالحقيقة تداهمه بقوتها ، إنها الفتاة الوحيدة التى تركت فى نفسه هذا الأثر .. والفتاة الوحيدة التى استطاعت أن تحرك مشاعره مرة أخرى بهذه القوة .

إن أية فتاة أخرى عرفها فى حياته ، لم تحدث فى نفسه هذا التأثير ، ولم تعش فى خياله وذكرياته ، مثلما عاشت

(دعاء) ، ولم ترتجف لها أحاسيسه ، مثلما حدث عندما عاد والتقى بها مرة أخرى .

إنها الفتاة الوحيدة التى أحبها .. والتى كشف لقاؤه لها بالأمس ، أنه ما زال يحتفظ لها بهذا الحب .

نعم .. هذه هى الحقيقة ، التى يتعين عليه الاعتراف بها ، مهما حاول الهرب منها ، مثلما كان يفعل دائمًا .

وزاد من قوة هذه الحقيقة ، أن (سامح) لم يكن من أصحاب المشاعر الهوائية ، أو ممن يندفعون وراء العاطفة .. لذا فهو واثق ، من أن قلبه لم يشعر بميل حقيقى تجاه أية فتاة أخرى ، مثل (دعاء) .

لقد كان مغرمًا بها ، منذ كانت طفلة ، وأدرك الآن السر فى حزنه لفراقها ، والسر فى أنه لم يستطع أن يمحوها من ذكرياته .. برغم انهماكه فى حياته العملية .

وتذكر أنها أصبحت الآن قريبة منه ، وأنه سيلقاها فى الغد .. بل اليوم ، فخفق قلبه ، وأحس بشىء من السعادة يعتريه .. وعاوده الحنين لرؤيتها والنظر إلى ابتسامتها الوضاءة .. وصوتها الذى يجد دائمًا صداه فى قلبه .

لم ينتظر (سامح) ، أن يذهب معه صديقه (محمود) إلى الفندق هذه المرة .. بل ذهب بمفرده .

وكان أول ما فعله ، هو أن سأل عنها ، وطلب مقابلتها .

وفى خلال دقائق معدودة كانت قد ذهبت إليه فى حديقة النادى ، حيث وجدته جالسًا فى انتظارها .

تأملها وهى قادمة نحوه .. هناك أشياء تغيرت فيها بالفعل .. قوامها ، أنوثتها .. ازدادت نضجًا وجمالًا .. لكن هناك أشياء لم تتغير فيها ، وهو سعيد لأنها لم تتغير .. ابتسامتها .. الطريقة التى اعتادت أن تهز بها رأسها ..

صافهحا بحرارة .. قائلًا :

ـ هل تعرفين ؟ ما زلت أظن أننى أعيش فى حلم .. وأنه من الغريب أن نلتقى مرة أخرى فى هذا المكان .. بعد أن افترقنا دون وعد بلقاء .

ضحكت قائلة :

ـ ألا يقولون إن العالم صغير ؟

سألها قائلًا :

ـ بالمناسبة .. لماذا لم تحاولوا مراسلتنا ؟ إننا لم نعد نعرف عنكم أى شىء بعد أن تركتم المنزل ..

ـ لقد مرت بنا ظروف صعبة .. ولم نكن نملك حتى الوقت الكافى لإرسال الخطابات .. ولكن تأكد أننى ووالدى لم ننسكم أبدًا .

واستطردت قائلة :

ـ بالمناسبة .. لقد سر أبى للغاية .. عندما علم بوجودك هنا ، وبأننا قد تقابلنا ، وهو فى انتظار لقائك اليوم .

ـ حسن .. إذن دعينا نذهب إليه .

قالت له بدلال :

ـ هل مللت منى بهذه السرعة !

قال لها وهو يشعر بشىء من الحرج :

ـ مطلقًا .. ولكنى لا أحب أن أدعه ينتظر .

ـ إنه موجود فى غرفته هذه الليلة على كل حال ، ويمكننا أن نذهب إليه وقتما نشاء .

ـ حسن .. كما تريدين .

ـ ما رأيك لو نجوّل قليلًا .. لنتعرف أرجاء الفندق ؟

ـ فكرة طيبة .

وسار (سامح) بجوارها ، وهو يختلس إليها النظرات من آن لآخر .

وسألها قائلًا :

ـ هل أنت سعيدة هنا ؟

ابتسمت قائلة :

ـ ولِمَ لا أكون سعيدة ؟

هز (سامح) كتفيه قائلًا :

ـ لاأعرف .. حقًا إن المكان هنـا جمـيل ، وتتوافر به العديد من الخدمات ، فضلًا عن تردد سائحين من شتى أجناس الأرض على الفندق .. ولكن فى النهاية .. هو مكان محدود ، ولا يشبه مدينة كبيرة ، تستطيعين التنقل فيها بحريتك ، كمدينة القاهرة مثلًا أو الإسكندرية .

ـ إن كل ما أحتاج إليه متوافر لى فى هذا المكان .. إن تلك البقعة من سيناء رائعة ، يشعر من يعيش فيها بأنه مطلق الحرية .. كما أشعر بفخر حقيقى كلما استطعت أن أكسب إعجاب السائحين ، بالخدمات التى تقدم لهمْ فى هذا المكان .

ـ ولكن ألا يقلل ذلك من فرصة التقائك بشاب مًا ، يرغب فى الزواج منك ؟

إن معظم الذين يأتون إلى هنا ، إما من السائحين ، أو ممن يأتون مع عائلاتهم لقضاء إجازة قصيرة ، و ....

ضحكت وهى تقاطعه قائلة :

ـ ولا تنس أن بعض المهندسـين ، العامليـن فى المشروعات الجديدة هنا ، يترددون على المكان أيضًا .

قال لها وهو يحاول أن يعتاد الألفة التى جمعت بينهما فى الماضى :

ـ إننى جاد فيما أقوله يا (دعاء) .. ألا تفكرين فى الزواج ؟

قالت له (دعاء) وهى تخفض بصرها ، وقد اعتراها شىء من الخجل :

ـ أعتقد أن كل فتاة تفكر فى الزواج .. وتحلم باليوم الذى تلتقى فيه بالرجل الذى ستتزوجه .

سألها قائلًا :

ـ ألم تلتق بذلك الرجل بعد ؟

تهربت من إجابته على سؤاله ، وهى تغير الموضوع قائلة :

ـ وما أخبار العمل فى القرية السياحية ؟

ـ أعتقد أننا قد أنجزنا حتى الآن عملًا طيبًا .

ـ ومتى تنوون الانتهاء منه ؟

ـ ربما بعد شهرين أو شهرين ونصف من الآن .

نظرت إليه بانزعاج واضح قائلة :

ـ بهذه السرعة ؟!

وأحست بأنها قد تسرعت فى التعبير عن مشاعرها ، فتمالكت نفسها قائلة :

ـ أعنى .. أن هذا معدل سريع للعمل .. لقد ظننت أن الأمر سيتطلب بضع سنوات ؟

ابتسم قائلًا وهو يمازحها :

ـ أتخشين من سرعة بدء المنافسة ؟ إنه بالفعل معدل سريع للبناء .

لقد أردنا أن نثبت وجودنا وسط الشركات المنافسة ، وهذه الفترة تمثل العمل الذى سنقوم به فقط ، دون بقية أجزاء القرية ، والتى تتولاها شركات أخرى .

ولم يكن بداخله سعيدًا لرحيله عن هذا المكان ، خلال تلك الفترة القصيرة ، برغم أن هذا كان هو هدفه ، حينما حضر للإشراف على العمل .

وكم هو غريب ، تغير مشاعره على هذا النحو .. فلم يعد الحماس والنجاح وإثبات الذات ، هو الذى يعنيه فى هذه اللحظة .. وإنما بقاؤه بجوارها لأطول وقت ممكن .

وصورت له مخيلته منزلًا صغيرًا ، يضمهما معًا ، ثم تمثل نفسه وهو عائد من عمله فى المساء ، ليجدها فى انتظاره ، واستقبالها له على الباب ، وذراعاها تطوقان عنقه وهو يقبلها .

تصور (سامح) هذا الحلم الجميل للحظات ، فاحس بشىء من السعادة يسرى فى جسده .

نظرت إليه قائلة :

ـ إنك تبدو مشغول البال .

أجابها قائلًا :

ـ إن المكان هنا يغرى بالتفكير .. وإطلاق العنان للخيال .

سألته قائلة :

ـ وإلى أى مدى وصل بك خيالك ؟

ابتسم قائلًا وهو ينظر إليها :

ـ إلى المدى الذى لا أستطيع أن أخبرك به .

سألته بدلال قائلة :

ـ ولِمَ لا ؟ لقد تعودت أن تقص علىّ الكثير من أفكارك وأحلامك فى الماضى ، برغم أننى كنت أصغر مما أبدو عليه الآن .

ـ ربما لهذا السبب بالتحديد .. لقد كنت يومئذ طفلة .. أعنى فتاة فى مقتبل العمر .. أما الآن فإننى أتحدث مع فتاة مكتملة الأنوثة والنضج ، وهذا يجعل المرء متحفظًا فى التعبير عن أفكاره .

ضحكت قائلة :

ـ برغم أننى كنت أكره منك أن تعاملنى كطفلة ، إلا أنك تستطيع أن تتخيلنى طفلة الآن إذا شئت .

تأملها مليًا وهو يقول :

ـ أعتقد أن هذا ليس مستطاعًا الآن .

هزت الفتاة منكبيها ، وقالت وهى تتنهد :

ـ ولو أنى كدت أن أنسى هذه الحقيقة ، عندما تقابلنا بالأمس ، فقد ظننتنى لم أكبر ولم أتغير فى نظرك .

ابتسم قائلًا :

ـ بالطبع هذا غير حقيقى .. فهأنذى أخجل من ذكر بعض الأشياء أمامك .. ولكن ربما احتجت لبعض الوقت ، كى أعتاد على التعامل مع هذه الحقيقة .

قالت له الفتاة بعد فترة من الصمت :

ـ أما أنا ، فأرى بوضوح أنك تغيرت .. لقد ازددت رزانة .. وفى بعض الأوقات أرى على وجهك وكأنك مثقل بالهموم ، ربما كانت متاعب العمل ، والإرهاق الشديد الذى تلقاه هنا .

وعاد ليتأملها قائلًا :

ـ هذه إحدى الصفات التى لم تتغير فيك .. فما زلت تحلو لك مراقبتى ومحاولة التسلل إلى أفكارى ، كما كنت تفعلين فى الماضى .

قالت له بصوت خافت ورقيق :

ـ ألا يعنى ذلك لك شيئًا ؟

حوّل وجهه عنها قائلًا :

ـ فى الماضى كنت أفسره بفضول فتاة صغيرة .. يحلو لها التطفل على أفكار الآخرين .

نظرت إليه قائلة :

ـ والآن ؟

ثم استطردت قائلة :

ـ أما زلت ترانى فضولية ومتطفلة ؟

توقف عن السير وهو ينظر إليها قائلًا :

ـ ما كان أحوجنى إلى هذا التطفل والفضول فى الآونة الأخيرة .

قالت له بدلال :

ـ إذن فما زلت ترانى متطفلة وفضولية .

ـ بل أراك مهتمة بى .. اهتمامًا لم أره إلا فى عينى أمى .

قالت له وقد ازداد صوتها خفوتًا :

ـ إننى بالفعل مهتمة بك .

وقالت فى نفسها دون أن تفصح له عما اعتمل بداخلها :

ـ بل إننى مهتمة بك أكثر مما تتصوّر .

★ ★ ★

٩ ـ مرحبًا بالحب ..

حاولت أن تتكلم قائلة :

ـ (سامح) .. إننى ...

لكنه استوقفها ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة قائلًا :

ـ لقد مضى وقت ، منذ أن سمعتك تنادينى باسمى .

ابتسمت قائلة :

ـ أعتقد أنه يتعين علىّ ، أن أضيف إليه الآن لقب الباشمهندس .

قال لها بجدية :

ـ بل أفضل أن تنادينى به مجردًا ، ودون أية إضافات .. كما كنت تفعلين فى الماضى .

واستطرد قائلًا :

ـ ماذا كنت تريدين أن تقولى ؟

ـ لقد جعلتنى أنسى ما أردت قوله .

قال لها بنفس اللهجة الجادة :

ـ التركيز يا (دعاء) .. عليك أن تحرصى على التركيز ، فيما تقولينه أو تقرئينه أو تكتبينه .

أكملت (دعاء) العبارة وهى تبتسم قائلة :

ـ فالتركيز هو أساس النجاح فى أى شىء .. نعم .. مازلت أذكر هذه الجملة ، التى كنت ترددها دائمًا ، وأنت تستذكر لى دروسى فى الماضى .

ابتسم قائلًا :

ـ إذن فأنت مازلت تذكرينها .

ـ إننى لم أنس شيئًا مما كنت تقوله لى مطلقًا .. (سامح) ألم تلحظ .. أننى .. أننى ..

وتملكتها حالة من الارتباك والتلعثم ، حالت بينها وبين الاستطراد فيما أرادت قوله .. فأكمل هو قائلًا :

ـ أنك كنت تحملين لى شيئًا من الإعجاب .

نظرت إليه بدهشة ، وقد تورد وجهها قائلة :

ـ إذن .. فقد كنت تعرف .

ـ نعم .. لقد لاحظت ذلك وأحسست به .

ـ ومع ذلك .. فإنك .. ربما لم تكن مهتمًا بى .

ـ لقد ظننت أنها مجرد مشاعر مراهقة .. وكنت أشعر بالمسئولية تجاهك ، فلم أرض أن أستغل هذه المشاعر .. وأردت دائمًا ألا أشجعها ، برغم أننى كنت أحمل نحوك نفس الإحساس .

ـ لقد رأيتك تضع أمام شعورى نحوك جدارًا من الفولاذ .

- إنه جدار وضعته أمام مشاعرى أيضًا .. ففى أعماقى أحسست بانجذابى إليك ، وفى ضميرى وجدتنى أستنكر التجاوب مع أحاسيس فتاة ليس لديها القدرة الكاملة للحكم على عواطفها .

- كان حكمك خاطئًا يا باشمهندس .. لأن عاطفتى نحوك لم تتغير ، ولم يؤثر فيها الزمان واختلاف المكان .. وهذا دليل كاف على أنها لم تكن مجرد مشاعر مراهقة .. بل كانت مشاعر صادقة وقوية وأنك قد ظلمتها بحكمك هذا .

نظر إليها (سامح) بعينين يملؤهما التساؤل قائلًا :

- (دعاء) .. هل أفهم من هذا أنك ....

قاطعته قائلة :

- لقد تأخرنا على بابا .. هيا بنا لنقابله .

وهمت بمواصلة السير .. لكنه استوقفها قائلًا :

- أتظنين أننى لم أفكر فيك ، طوال السنين الماضية ؟.. لقد كنت أفكر فيك مرارًا .. أفكر فى تلك الأيام التى قضيناها معًا ، وفى الأوقات الجميلة التى ضمتنا معًا ، وأتساءل .. ترى .. أما زالت هى أيضًا تذكرنى ، أم أن تلك النظرة التى كنت أراها فى عينيها نحوى ، قد تغيرت مع مرور الزمن ؟

كنت أتساءل .. تُرى ما هو شكلها الآن ؟ هل ازدادت طولًا ؟ هل ازدادت جمالًا عما كانت عليه ؟ وتلك الابتسامة المشرقة التى كنت أراها فى عينيها ، وتبعث البهجة فى نفسى .. هل تبدلت تلك الابتسامة .

نظرت إليه قائلة :

- إن كل تلك الأشياء ، يمكن أن تنطبق على أية فتاة كان يمكن للظروف أن تجمعك بها ، على النحو الذى كنا عليه .. تنطبق على صديق أو صديقة ، لكنها لا تحمل ما هو أكثر من ذلك .

هم بأن يقول شيئًا .. لكنه توقف على إثر سماع صوت يأتى من خلفه قائلًا :

- لقد تأخرت فى حضورك إلىّ ، فقلت آتى إليك أنا .

التفت (سامح) إليه قائلًا :

- عمى (بهجت) .. كم أنا سعيد لمقابلتك .

صافحه الرجل بحرارة قائلًا :

- هل جعلتك (دعاء) تنسى لقاء عمك بهجت ؟ أم أننى لم أوحشك ؟

قالت له (دعاء) :

- لقد كنا فى الطريق إليك .

وقال (سامح) :

- كيف تقول ذلك ؟ لقد أوحشتنى كثيرًا .

قال له الرجل :

ـ إننى لم أصدق ، حينما قالت لى (دعاء) إنها التقت بك هنا ، وتساءلت ، لِمَ لم تأت لمقابلتى فى الحال ؟

ـ لقد علمت أنك كنت مشغولًا ببعض الأمور الهامة .

قال له الرجل معاتبًا :

ـ لا شىء يمكن أن يشغلنى عن مقابلتك يا (سامح) .

ودعاه إلى الجلوس فى أحد أركان الفندق قائلًا :

ـ كيف حالك وكيف حال والدتك ؟

ـ إننا بخير .

ـ أعذرنا يا بنى ، إذا كنا لم نسأل عنكما خلال السنوات الماضية ، ولكن لابد أن (دعاء) قد حدثتك عن الظروف التى مررنا بها .

ـ نعم .. وإنى مقدر لتلك الظروف .. وأعتقد أنها قد تحسنت الآن .

قال له والدها :

ـ الحمد لله .. لقد تحسنت كثيرًا .. وماذا عنك ؟ لقد سمعت أنك قد أصبحت الآن مهندسًا ، وأنك تشارك فى إنشاء القرية السياحية ، التى تقع على بعد عدة كيلومترات من هنا .

ـ نعم .. لقد توليت العمل فيها منذ شهر ونصف تقريبًا .

ـ هذه أنباء طيبة .. ولكن ماذا عن والدتك ؟ أعنى هل تركتها بمفردها .. أم أنها تقيم لدى أحد الأقارب ؟

ـ بل بمفردها .. وهذا ما يقلقنى عليها .. فقد أصبحت مريضة الآن .. ولكن كما تعلم فإنها شديدة الاعتزاز باستقلاليتها .. وتصر على عدم مغادرة شقتها فى المنيل ، إلى أى مكان آخر .

لكن على كل حال فإن الكثير من الأقارب والمعارف يترددون عليها ، ويقومون على خدمتها .. كما أننى أتصل بها أسبوعيًا .

قال له الأب ، وفى عينيه نظرة تقدير :

ـ إن والدتك سيدة عظيمة حقًا .. أرجو أن تنقل إليها تحياتى ، لو اتصلت بها مرة أخرى .

وأعرب له (سامح) شكره .. فاستطرد الرجل قائلًا :

ـ كما يسرنى أيضًا أن أراك فى صحة جيدة .. هل أنت سعيد فى عملك الحالى ؟

ـ إننى أحب عملى ، وسعيد به جدًا .

قال له الرجل :

ـ لقد كنت أراك دائمًا شابًا جادًا فى حياتك .. لذا فأنا أتوقع لك نجاحًا مستمرًا .

وأحضرت (دعاء) الشاى ، لتقدمه له مع بعض الحلوى قائلة :

ـ لقد أحضرت لك قطعة من (تورتة) الشيكولاتة .. فأنا أعلم أنك تحبها ، أليس كذلك ؟

قالت له ذلك ، وهى ترمقه بنظرة تشفّ عن المداعبة ، على نحو جعله يرتبك قليلًا ، وهو يتناول منها فنجان الشاى ، والطبق الصغير الذى يحوى قطعة (التورتة) .

قام (بهجت العلمى) بالشطر الأكبر من الحديث فى أثناء تناول الشاى ، فتكلم عن الماضى ، وسفره إلى الخارج ، وعمله فى الفندق .

وأخيرًا نهض (سامح) مستأذنًا فى الانصراف .. فصافحه (بهجت) قائلًا :

ـ أرجو أن نلتقى مرة أخرى يا باشمهندس .

واصطحبته (دعاء) إلى الخارج .. ولما بلغا الباب الخارجى للمبنى سألته قائلة :

ـ هل ترى أبى فى حالة جيدة ؟

فأجابها (سامح) قائلًا :

ـ نعم .. فى أحسن حال .

فتنهدت قائلة :

ـ يسعدنى أنك ترى ذلك .. لأننى أراه أحيانًا قلقًا ومكتئبًا .

نظر إليها بابتسامة مطمئنة قائلًا :

ـ لايوجد ما يدعو لمثل هذا القلق .. إن الأمر فى اعتقادى لا يخلو من عطف زائد منك تجاه أبيك ، واهتمام كبير يجعلك دائمًا قلقة عليه ، هكذا عهدتك منذ أن كنت معنا فى منزل المنيل .

وتأملها قائلًا :

ـ وماذا عنك أنت ؟

قالت له وهى تحاول أن تبدو مبتهجة :

ـ إننى قانعة وسعيدة .. وقد ازددت سعادة إذ وجدت صديقًا قديمًا لى فى هذا المكان ، وعلى مقربة منى .

وضغط على يدها وهو يصافحها قائلًا :

ـ وأنا أيضًا سعيد ، إذ وجدت صديقة قديمة لى هنا .

وكان كلاهما يعرف ، أنه يكذب فى اختياره لهذه الكلمة ، وأن الصداقة ليست هى التعبير الكافى عن مشاعرهما تجاه بعضهما .. لكنها الكلمة الوحيدة المسموح لهما الآن بالتعبير بها عن جزء من هذه المشاعر .

قالت له (دعاء) وفى صوتها رنة رجاء :

ـ إذن سيتلاقى الصديقان ، ولن يتباعد أحدهما عن الآخر .

ابتسم فى وجهها قائلًا :
ـ سألقاك مساء الغد فى نفس الموعد ونفس المكان .
تطلعت إليه ، وفى صوتها ما يعبر عن انفعال عاطفى :
ـ سأكون فى انتظارك .
وسار تشيعه نظراتها .. وهى تردد قائلة لنفسها :
ـ آه .. لو تعرف يا (سامح) ، أنك الرجل الوحيد الذى أحببته .. ولن أحب سواه :

لم يستطع (سامح) النوم فى هذه الليلة .. فغادر فراشه ، وأخذ يسير فى الأرض الصحراوية المحيطة بالقرية ، وهو يفكر فى كل كلمة فاهت بها (دعاء) .

وخيل له أن كل مشاعره السابقة نحوها ، والتى حاول أن يكبتها فى نفسه دون أن يسمح لها بالتعبير عن نفسها ، وكل التحفظات التى كان يضعها قديمًا ، أمام تلك العاطفة المكبوتة ، لم يعد لها وجود .. وأنها فى سبيلها للتعبير عن نفسها بكل قوة واندفاع .

لقد كان حبه لها ينمو ويتعمق فى قلبه دون أن يدرى .. وإن اللحظات التى أمضاها معها ، جعلته يكتشف أن الحب الذى ظن أنه قد وأده فى مهده .. لم يمت لحظة واحدة ، وإنما كبر مع مرور السنين .. حتى رآه أمامه اليوم عملاقًا .. وقد أصبح بحاجة ملحة للتعبير عن نفسه .

ـ نعم إن (دعاء) هى الفتاة الوحيدة التى أحبها .
عليه أن يعترف بذلك .. وأن يعترف به لنفسه أولًا ؛ لأنه لم يعد يوجد ما يدعو إلى خجله من هذا الحب ، أو لمزيد من الهرب منه .

وأسند ظهره إلى إحدى أشجار النخيل ، وهو يستعيد اللحظات التى مرت بهما . لقد رأى فى عينيها ، ما ينم عن أنها تحمل له قدرًا كبيرًا من العاطفة .

كان هناك تعبير صادق ، لا يمكن أن يخطئ فى تلك العينين ، وفى نبرات صوتها ، يخبره بأنها تحبه ، وأن الأمر لم يكن مجرد نظرة إعجاب من فتاة مراهقة ، تجاه جارها الذى يكبرها ببضع سنوات .

وجعله هذا الإحساس يشعر بسعادة غامرة ، أخذت تسرى فى جسده وفى نفسه .



١٠ ـ الاعتــــراف ..

عاد (سامح) إلى حجرته ، حيث حاول أن يحصل على قسط من النوم ، خلال الساعات المتبقية حتى الصباح .. لكن خيالها بقى أمام عينيه .. ولم يعرف النوم طريقه إلى جفنيه ، إلا ساعتين فقط .

نهض (سامح) من نومه ، على صوت طرقات عنيفة على باب حجرته .. فقام متثاقلًا ليفتح الباب ، فوجد أمامه المهندس (يسرى) .. وقد أطلت نظرات غاضبة من عينيه حيَّاه (سامح) قائلًا :

ـ صباح الخير يا باشمهندس .. تفضل .

لكن (يسرى) ظل واقفًا على عتبة الباب ، وقد تحدث إليه فى انفعال قائلًا :

ـ لقد بلغنى أنك قد استغللت فرصة غيابى ، فى فرع الشركة بالأمس ، وأصدرت أوامر جديدة للعمال ، بالمخالفة للأوامر التى أصدرتها .

قال له (سامح) :

ـ تفضل بالدخول أولًا ، وبعد ذلك قل ما شئت .

دخل (يسرى) قائلًا وهو مستمر فى انفعاله :

ـ كيف سمحت لنفسك بأن تفعل ذلك ؟

جلس (سامح) على حافة الفراش ، وهو يدعوه إلى الجلوس على المقعد المواجه قائلًا :

ـ لقد فعلت ما فيه صالح العمل .

صاح (يسرى) قائلًا :

ـ أنا أدرى منك بصالح العمل .. ولست بحاجة لكى أكرر عليك كل مرة ، أننى المسئول عن نظام العمل هنا .

ـ لقد أخبرتك من قبل ، أن هذا الأسلوب فى العمل ، سيؤدى إلى تساقط العمال وإرهاقهم ، على نحو يؤدى إلى الإقلال من كفاءتهم .. وأنه لابد من منحهم ساعة للراحة خلال كل وردية ، لزيادة كفاءتهم .

ـ أيًا كان ما قلته .. فقد أخبرتك بأنه مرفوض .. وأننى أرى أن الأسلوب الذى أتبعه هو الأفضل ، والذى يتعين عليك وعلى الآخرين اتباعه .. ولم يكن لك أن تخالفه .. فأنا هنا المختص بإصدار الأوامر .

ـ إن هذه ليست ثكنة عسكرية .. ولكننا ننشئ هنا قرية سياحية ، تحتاج إلى عمالة فنية ، بحاجة إلى التركيز وسلامة الأعصاب ، حتى يؤدى العاملون ما هم مكلفون به على الوجه الأكمل .

ـ إن هذا يرجع إلى تقديرى أنا ، وليس من شأنك .

ـ لا تنس أننى شريك معك فى المسئولية .. لماذا تحول الأمر بيننا إلى نوع من المنافسة والخلاف الدائم ؟!

ـ لأن هذه هى الحقيقة .. إنك تحاول أن تسعى دائمًا ، إلى إثبات أنك المسئول الأول هنا .

ـ وأنا أؤكد لك ، أن هذا غير حقيقى .. وأنك لو فتحت لى صدرك .. دون هذه الوساوس التى تملؤه ، ودون تلك الحساسيات .. فسوف نتعاون لما فيه صالح الجميع .

قال له (يسرى) بتحدٍ :

ـ إننى أرى أنه لن يكون بيننا أى تعاون .. وأنه لا يمكن أن نستمر معًا فى الإشراف على هذا العمل .

ـ هذا أمر يقرره رئيس الشركة .. وليس أنت يا باشمهندس .

ـ إذن يتعين عليك أن تطلب نقلك من هذا المكان .

ـ ولكنى غير مستعد لترك هذا المكان .

ـ لقد أرسلت مذكرة بشأنك إلى رئيس الشركة ، وحتى يتم البت فيها .. فأنا لا أريد منك مشاركتى ، فى الإشراف على نظام العمل هنا .

ـ آسف ، فحتى يتم البت فى هذه المذكرة ، التى تقول إنك قد أرسلتها ، فإننى سأستمر فى العمل المكلف به من

قِبَل رئيس الشركة ، والذى أتقاضى راتبًا نظير أدائه ، وسأشارك معك فى المسئولية هنا .

ـ إذن فأنا لا أضمن تصرفاتى نحوك ، لو أقدمت على إصدار أية أوامر جديدة للعاملين هنا ، دون الرجوع لى .

ـ ألا ترى أننا قد أصبحنا نتصرف بطريقة صبيانية ؟ لماذا لا تمد لى يدك ، ويعرض كل منا وجهات نظره ، بطريقة تتفق مع مسئوليتنا هنا ؟

لكن (يسرى) فتح الباب فى عصبية ، قائلًا دون أن يبدى اهتمامه بما قاله :

ـ لقد حذرتك .. وعليك أن تتحمل العواقب وحدك فيما بعد .

ثم غادر الحجرة ، وهو يغلق الباب وراءه فى عنف .

ظل (سامح) ساكنًا فى جلسته ، وهو يهز رأسه ، تعبيرًا عن عدم رضائه ، ثم قام ليغتسل ويذهب إلى عمله .

★ ★ ★

ظل الصراع قائمًا بين الرجلين ، على غير رغبة من (سامح) ، كما تعددت اللقاءات بين (سامح) و (دعاء) فى الفندق .. وكانت هذه اللقاءات ، هى من أقوى عوامل السعادة فى نفسه ، والعامل الرئيسى فى إزالة متاعب العمل ، والخلافات القائمة بينه وبين (يسرى) ، والتى تصاعدت فى الآونة الأخيرة .

لزم (سامح) الصمت وهو سائر بجانبها ، وقد أخذ يفكر فيما قاله المهندس (كريم) اليوم ، والذى أرسله رئيس الشركة ، للتحرى عن موضوع المذكرة ، التى أرسلها المهندس (يسرى) لقد أخبره المهندس (كريم) أنهم يقدرون جهده وعمله فى هذا المكان ، غير أن رئيس الشركة غير راض عن هذا الخلاف ، القائم بينه وبين المهندس (يسرى) ، والذى قد ينجم عنه التأثير على العمل القائم .

كما أخبره بأنه مع تقديره الكامل للجهد الذى يقوم به هنا .. إلا أنه لا يستريح لفكرة وجود خلاف بينه وبين المسئول الأول عن العمل هنا .. مهما كانت وجهة نظره بشأن هذا الخلاف .. لذا فهو يفكر جديًا فى نقله من هذا المكان ، إلى أحد مواقع العمل الأخرى ، التى يتولى فيها الإشراف على التنفيذ بمفرده .. وإنه سيقرر ذلك بعد الاطلاع على التقرير المحايد ، الذى سيعود به المهندس (كريم) .

وأحس (سامح) بالحزن والقلق ، من فكرة مغادرته للمكان بهذه السرعة ، ليس بسبب العمل وحده ، برغم طموحه الشديد بهذا الشأن .. وليس لأن هذا يعنى انتصار المهندس (يسرى) وأسلوبه عليه .. ولكن لابتعاده عن (دعاء) .

وقطعت عليه (دعاء) صمته ، وهى تلقى نظرة جانبية على وجهه المثقل بالهموم قائلة :

ـ هل أدفع لك جنيهًا ، لتخبرنى عن تلك الأفكار التى تدور فى رأسك ؟

تكلف الابتسام قائلًا :

ـ لك أن تأخذى أفكارى كلها دون مقابل .

سألته قائلة :

ـ إنك قليل الكلام اليوم ، وتبدو لى وكأن الهموم تحاصرك .

ـ بعض المشاكل فى العمل .

ـ ألا يمكنك أن تخبرنى بها ؟

نظر إليها مليًا قبل أن يقول :

ـ (دعاء) .. ربما نقلت من العمل خلال الأسبوع القادم .

ارتسمت ملامح الانزعاج واضحة على وجهها وهى تقول :

ـ ماذا ؟.. ولكنك أخبرتنى أنكم ستستمرون هنا لشهرين آخرين .

ـ إن رئيس الشركة يرى أن وجودى فى موقع آخر للعمل سيكون أفضل .

قالت له (دعاء) وهى ترتجف بصوت متلعثم :
ـ ولكن .. ولكن .. ولكنى ظننت أنه سيتاح لنا أن نلتقى وقتًا أطول هنا .
تنهد (سامح) قائلًا :
ـ يعلم الله .. كم كنت أتمنى ذلك .
ـ ألا يمكن أن تطلب من رئيسك ؛ أن يؤجل قرار النقل قليلًا .
ـ إن القرار لم يصدر بعد .. ولكن هناك مشاكل بينى وبين أحد المسئولين عن العمل هنا ، وهو يفضل أن يستقل كل منا بجهة عمل مختلفة ، تجنبًا لهذه المشاكل .
ـ أما كنت تستطيع ، أن تنهى هذه المشاكل القائمة بينك وبين ذلك الشخص ؟
ـ إننى لم أرغب فى وجودها مطلقًا ، وقد سعيت بالفعل لإنهائها .. لكن الأمر تحول بالنسبة لهذا الشخص ، إلى مسألة شخصية .. فضلًا عن أننى غير مستعد لإنهاء مشاكلى معه على حساب مبادئى .
قالت له بنبرة حزينة :
ـ ولكنى سأفتقدك كثيرًا .
ـ وسيكون هذا هو حالى أيضًا .. فلا شىء يحزننى على مغادرة ذلك العمل ، سوى أننا سنضطر لأن نفترق مرة أخرى .

ولم يستطع (سامح) التفوه بكلمة أخرى ، بل عاد لالتزام الصمت .
سألته قائلة :
ـ وهل ستعود إلى القاهرة أم إلى مكان آخر ؟
ـ حتى الآن لا أعرف .
ـ يجب أن تعلمنى بمكانك ، حتى أستطيع مراسلتك أو الاتصال بك .
ثم استدركت قائلة بصوت أشد خفوتًا :
ـ إذا كان يعنيك أن نبقى على اتصال .
التفت إليها قائلًا بصوت متهدج :
ـ كيف تقولين هذا ؟ إنك لا تعرفين ما الذى تعنيه لى .
تطلعت إليه قائلة بصوت فيه رنة رجاء :
ـ ليتك تخبرنى بذلك يا (سامح) .
اشتد خفقان قلبه ، وقد أحس بأن عليه أن يعلن لها الآن ، عن ذلك الحب الكبير ، الذى يحمله لها بين ضلوعه ، والذى طالما ناوره وحاول أن ينكر وجوده .
لكن شيئًا ما ، أعجز لسانه عن النطق ، وحال بينه وبين التصريح بحبه .
وظلت (دعاء) تتطلع إليه ، وفى عينيها ذلك التساؤل قائلة :

ـ لماذا لاتتكلم يا (سامح) ؟.. أريد أن أعرف قدرى لديك .

ظل (سامح) عاجزًا عن النطق، وهو لايدرى سر عجزه، بينما حبه لها يغلى بداخله، يريد أن يجد له منفذًا .

وأحست بالخجل من نفسها ، وهى تدير وجهها إلى جهة أخرى قائلة :

ـ آسفة، يبدو أننى أضغط عليك، للتصريح بأشياء لاترغب فى التصريح بها، أو لا وجود لها سوى فى مخيلتى .

وهمت بمواصلة السير .. لكنه استوقفها وهو يمسك بذراعيها ، ليديرها إليه ، مرددًا اسمها بصوت مفعم بالعاطفة قائلًا :

ـ (دعاء) .. (دعاء) .. إننى ..

شاهدت عينيه ، وهما تنظران إليها ، وقد تجلت فيهما تلك العاطفة القوية ، التى لاتخطئ امرأة فى إدارك مغزاها ، فتجلت فى عينيها العاطفة ذاتها ، وكادت أن تحبس أنفاسها فى صدرها .

ولم تلبث أن أحست بقوة قاهرة تجذبها إليه ، فامتدت يداها ، وهما ترتجفان نحوه قليلًا ، ليتناولهما ويطويهما فى يديه ، ثم قال بصوت هادئ النبرات :

ـ (دعاء) .. إننى أحبك .. هناك أشياء كثيرة كانت تحول بينى وبين أن أبوح لكِ بهذا الحب .. وكنت أعتقد أننى بحاجة لبعض الوقت ، حتى أستطيع التعبير عن حبى هذا ، بحاجة لتغيير نظرتى السابقة إليك كفتاة صغيرة .. والتأكد من حقيقة عاطفتك نحوى .. وما يمكن أن يترتب عليه الإعلان عن هذا الحب .. أشياء كثيرة ، ظننت أننى بحاجة إلى المزيد من الوقت ، لكى أعرفها قبل أن أصرح لكِ بحبى .

حاولت أن أتعامل مع هذه العاطفة ، بعقلية المهندس المنظم ، وبطبيعتى العقلانية ، لكن حينما أحسست بأننا يمكن أن نفترق .. وأنه قد تمر فترة طويلة قبل أن نلتقى مرة أخرى .. وجدت مشاعرى تتغلب على كل الاعتبارات الأخرى .. لم يعد هناك وجود للمهندس ، الذى يدرس الأمور قبل أن يبدأ فى تنفيذها ، ولم يعد هناك مجال لأى استشارة للعقل .. لم يعد يوجد سوى شخص أحبك .. ويحبك بكل ذرة فى كيانه .

أحبك وأنت فتاة صغيرة .. تحاورينه فى المنزل .. وأحبك وأنت خيال يعيش فى وجدانه .. وأحبك وقد ظهرت كحقيقة رائعة فى حياته مرة أخرى .. أحبك فى ذكرياته .. وفى حاضره .. وفى مستقبله .

لم تفه الفتاة بكلمة .. بل ظلت تنظر إليه ، وصدرها يعلو وينخفض .. ويداها ترتجفان فى يديه .

استطرد (سامح) قائلًا :

ـ هذه هى الحقيقة التى تبينتها ، فى اليوم الذى التقيت بك فيه هنا .. رأيتك (دعاء) نفسها .. الفتاة الصغيرة التى أحببتها ، وحاولت أن أطمس معالم هذا الحب ، حتى عن نفسى ، وأتظاهر بحب أخوى غير حقيقى ، لأن الظروف التى جمعتنا معًا لم تكن لتسمح لى بإظهار ما هو أكثر من ذلك .

ولكن حينما شاهدتك ، بعد كل هذه السنين التى فرقت بيننا ، لم أعد قادرًا على الهروب من هذه الحقيقة مرة أخرى .

تنهدت الفتاة وهى مغمضة العينين قائلة :

ـ أخيرًا .. أخيرًا يا (سامح) قلتها .. لقد انتظرت أن أسمع منك هذه الكلمة سنوات طويلة .. كم حلمت بها .. وتمنيتها .. ولولا خجلى لطلبت أن تسمعنى إياها حتى ولو لم تكن تشعر بها .

أنت أيضًا يا (سامح) عشت فى ماضىّ ، وفى حاضرى ، وكنت أراك دائمًا فى مستقبلى . وأنا أيضًا يا (سامح) أحبك ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى .

لم يكن أبدًا حب فتاة مراهقة ، لشاب يكبرها فى العمر .. بل حبًا أصيلًا لم تغير فيه الأيام والسنون شيئًا .

★ ★ ★

١١ ـ تمنيتك أنت ..

وفى تلك اللحظة سمعت صوتًا يناديها ، لينزعها من هذا التدفق العاطفى ، قائلًا بنبرة حازمة :

ـ (دعاء) ...

التفتت خلفها ، لتجد (حمدى) واقفًا على مسافة ثلاثة أمتار منها .

وبذلت (دعاء) جهدًا لكى تتخلص من انفعالها العاطفى ، وهى تقول له بارتباك :

ـ (حمدى) .. حمدًا لله على السلامة .. متى جئت ؟

لكنه لم يجبها بشىء ، بل وقف ينظر إلى (سامح) شزرًا ، وفى عينيه نظرة تساؤل ، وقدمته (دعاء) إلى (سامح) قائلة :

ـ (حمدى) .. ابن عمى .. وصاحب هذا الفندق الذى نتولى إدارته .

ثم قدمت (سامح) إليه قائلة :

ـ المهندس (سامح) .. صديق قديم .. وجارنا فى منزل المنيل .. لعلك قد رأيته مرة أو اثنتين ، عندما جئت إلينا هناك .

صافحه (سامح) قائلًا :
- أهلًا أستاذ (حمدى) .
بينما مد له (حمدى) يده ببرود ، وهو يكاد يرفض مصافحته ، وفى عينيه تلك النظرة غير الودية .
ثم التفت إلى (دعاء) قائلًا :
- لقد اندهشت لأننى لم أرك فى مكتب الاستقبال .. فى حين أن هناك فوجًا سياحيًا كبيرًا من إيطاليا ، لا يجد من يستقبله .
قالت له (دعاء) بدهشة :
- ولكنى تركت (مجدى) و (سوسن) فى مكتب الاستقبال .
قال (حمدى) وفى صوته نبرة غاضبة :
- (مجدى) و (سوسن) يصلحان لاستقبال سائح أو اثنين أو ثلاثة .. أما الأفواج السياحية ، فتحتاج إليك وإلى عمى .. ولا أعتقد أنك بحاجة ، لكى أعرفك أن مثل هذه الأفواج ، بحاجة إلى استقبال من نوع خاص وخدمة غير عادية .. وإلا انتقلت إلى فنادق أخرى .. كنت أظن أننى أستطيع أن أعتمد عليك فى هذه الأمور فى غيابى .
نظر إليه (دعاء) وهى تقول فى نبرة غاضبة أيضًا :

- ماذا بك يا (حمدى) ؟ إن هذه هى المرة الأولى التى تتحدث معى هكذا .
حاول (حمدى) أن يسيطر على انفعالاته قائلًا :
- آسف .. ولكنك تعرفين أن المنافسة هنا ستزداد شدة .. خاصة بعد إقامة تلك القرية السياحية ، ولابد من تقديم أفضل خدمة للسائحين ؛ حتى نجتذبهم إلى هذا المكان .. على كل حال ، لقد تصرفت واستقبلت الفوج السياحى بنفسى .. والآن هيا بنا لتناول العشاء معًا .
قالت له :
- اذهب أنت وسوف ألحق بك فيما بعد .
نظر إلى (سامح) ثم إليها قائلًا :
- ولكن .. لقد طلبت إعداد العشاء ، لنتناوله نحن الثلاثة فى حجرتى ، أنا وأنت وعمى .
- ولكنى لا أشعر بأى رغبة فى تناول طعام الآن .. ثم إننى لم أنه حديثى بعد مع (سامح) .
عاد لينظر إلى (سامح) تلك النظرة المعادية .. ثم أطلق زفرة قصيرة قائلًا :
- حسن .. سننتظرك على كل حال .. فلا تتأخرى .
وانصرف دون أن يصافح (سامح) أو يلقى إليه بأية تحية .

لم يغضب (سامح) من تصرفه لكنـه أحس بالقلـق يتسرب إلى قلبه .

وتحدث إليها قائلًا :

ـ إنه لا يبدو شخصًا ودودًا بأى حال .

ـ إنه غالبًا لا يكون هكذا .. ولا أدرى ما الذى حدث له اليوم .

ـ أعتقد أنه لم يسترح لرؤيتنا معًا .

ـ وما شأنه بذلك .

ـ ربما كان يحمل لك عاطفة ما .. ويشعر بالغيرة .

ابتسمت (دعاء) قائلة :

ـ وهل يقلقك هذا ؟

ـ لا أستطيع أن أخفى عليك ذلك .

تألقت ابتسامتها وهى تقول :

ـ إذن فهذا دليل قوى .

سألها قائلًا :

ـ دليل على ماذا ؟

ـ على ما صرحت لى به الآن .

ـ وهل كنت فى شك من ذلك ؟

قالت له بلهجة حانية :

ـ كلا يا حبيبى .. فالصدق لا يمكن إخفاؤه ، وقد أحسست بصدق عاطفتك نحوى ، مثلما أنا واثقة من صدق عاطفتى نحوك .

ابتسم قائلًا :

ـ يا لها من كلمة رائعة .. حبيبى .. كم هى غريبة تلك النفس الإنسانية .. أحيانًا تشعرين بأنك ترغبين فى شىء ما ، وتتوقين إليه ، دون أن تعرفى ما هو على وجه التحديد .. ولكن يظل يدور فى أعماقك ، أنك تتوقين إلى سماع كلمة ما .. ومن شخص ما ، لكن الظروف تارة .. والتقاليد تارة أخرى .. والحماقة تارة ثالثة ، تحول حتى بينك وبين التصريح لنفسك بهذه الرغبة .. أو حتى تعرّفها .

واليوم ، وقد سمعتك تنادينني بهذه الكلمة .. أدركت أن هذه هى الكلمة التى كنت أتوق إلى سماعها .. وسماعها منك أنت وحدك ، دون أى مخلوق آخر .

ـ كانت الظروف والتقاليد .. والكرامة .. وحماقتك أيضًا ، حائلًا بينى وبين قولها لكنى على العكس منك لم أخش أن أصرح بها دائمًا لنفسى ، وكنت أعرف دائمًا أننى أريد أن أقولها .. وأن أقولها لك وحدك ، دون أى شخص آخر .

صمت (سامح) برهة قبل أن يقول :
ـ وماذا عن ابن عمك ؟
ضحكت قائلة :
ـ أما زلت قلقًا بشأنه ؟
ـ أعتقد أنه لو كان ما أحسست به من تصرفاته نحوك حقيقيًا ، فإننى أكون أمام منافس قوى .
ضحكت بدلال قائلة :
ـ إذن عليك أن تعد نفسك للمنافسة .
لكنه قال لها بجدية :
ـ إننى جاد فيما أقوله يا (دعاء) ... فلا أعتقد أن شخصًا مثله ينقصه شىء .. إنه شاب وسيم، وثرى ثراء كبيرًا .. كما أنه ابن عمك .. وأعتقد أنه يحمل لك عاطفة قوية كما رأيت من تصرفاته .
قالت له بدلال :
ـ وهناك شىء آخر .. إنه يرغب فى الزواج منى .
ازدادت ملامح القلق على وجهه ، وهو يقول لها بانزعاج :
ـ يتزوجك ؟!
ـ نعم .. ولكنى لم أوافق .. هكذا ترى أنه لا وسامته ولا ثراؤه ولا صلة القربى التى تربط بيننا ، قد أفلحت فى أن تجعلنى أحبه ، وأقبل الزواج منه .

أتعرف لماذ ؟ لأن كل تلك الأشياء ، ليست بالضرورة كافية وحدها ، لكى تصنع حبًا حقيقيًا .
ـ أحيانًا يبدو الحب لى أحد الأشياء غير المنطقية فى حياتنا .
ـ لأنك ألفت الاعتماد على العقل ، فى التعامل مع الأمور فى تنظيم حياتك .. والحب يعتمد على العاطفة ، ولا يسهل إخضاعه لسلطان المنطق أو العقل .
ـ إننى لم أكن مجردًا من العاطفة يا (دعاء) .. كل ما هنالك هو أننى لم أجد من يحركها فى نفسى، بعد أن ابتعدت عنى.
وصمت برهة قبل أن يقول :
ـ إذن .. فهل (حمدى) لا يعنى لك شيئًا أكثر مما قلته ؟
ـ لا شىء أكثر من أنه ابن عم وصديق .. وتربطنا به صلات عمل .
ـ هل يشجعنى ذلك على أن أقول ، إنه لا توجد عوائق تحول دون ... دون أن أطلب يدك من والدك .
وبرغم العاصفة التى اجتاحت كيانها ، عندما قال لها هذا .. والتى كادت أن تجعلها تطير فرحًا .. إلا أنها تماسكت ، وحاولت أن تبدو أمامه أكثر هدوءًا ، وهى تقول له بدلال :

ـ بهذه السرعة ؟ ألا ترى أنك مندفع قليلًا ؟

سألها بتوجس قائلًا :

ـ أراك غير متحمسة .

ـ وأنا أراك تتصرف على غير طبيعتك .. أين التأنى، والتفكير قبل اتخاذ القرار ؟.. وأى قرار ؟ إنه أهم قرار فى حياتك .. أن تكون زوجًا ومسئولًا عن أسرة فى المستقبل .

ـ لقد سئمت التأنى والتفكير .. ما الذى يحول بيننا وبين أن نتزوج ، مادمنا قد عرفنا قدر كل منا لدى الآخر ؟ ومقدار ما يحمله له من حب ؟

ألا ترين أننا قد انتظرنا أكثر من اللازم ؟

(دعاء) .. إننى لم أعد أقوى على الابتعاد عنك ، بعد أن التقيت بك الآن .. ولا أريد أن أرحل من هذا المكان ، إلا بعد أن أطمئن على أننى لن أفقدك مرة أخرى .

نظرت إليه وفى عينيها موافقة صارخة ، جاهدت لكى تخفيها قائلة :

ـ وأنا أيضًا لم أعد أقوى على فراقك بعد الآن ..

ثم تداركت نفسها قائلة وهى تبتسم :

ـ ولكن .. ألا ترى أن كل تلك الأحداث تتداعى سريعًا .. وأننا عبرنا عن الكثير فى لحظات كثيرة ؟ مشاعرنا وحبنا .. ثم هأنت تحدثنى عن الزواج ، ألا تخشى أن يكون كل هذا اندفاعًا عاطفيًا من جانبك ؟

ـ بل إننى واثق من صدق مشاعرى .. ومن صدق رغبتى فى الزواج منك .

ـ إذن امنحنى فرصة لكى أحادث أبى بهذا الشأن .. يومين فقط .. وبعدها يمكنك أن تأتى لتطلبنى منه .

قال لها (سامح) والفرحة تطل من عينيه :

ـ إذن .. فأنت موافقة ؟

ـ إن هذا .. ما كنت أتمناه .. بل أكثر مما تمنيته طوال حياتى .

★ ★ ★

وفى اليوم التالى ، كان المهندس (يسرى) واقفًا فوق إحدى (السقالات) ، وهو يرقب بعض العمال فى أثناء تأديتهم لعملهم ، وقد أخذ يصدر تعليماته إليهم .

وفجأة اختل توازنه من فوق (السقالة) .. وكاد أن يهوى على الأرض ، لولا تشبثه بحافتها بإحدى يديه .

وأسرع إليه بعض العمال لمساعدته ، لكن فى أثناء اندفاعهم انفصلت (السقالة) التى تحملهم ، عن (السقالة) التى يتشبث بها (يسرى) .

وأحس (يسرى) بأن ذراعه لن تقوى على حمله طويلًا .. كما أن أى حركة أخرى من يديه أو جسده ، كانت كفيلة بانهيار السقالة .

ورأى (سامح) ما حدث ، فاندفع يعتلى الصندوق الأمامى للونش التابع للشركة ، وهو يطلب من السائق الاقتراب من (السقالة) .

وفى تلك اللحظة ، كان (يسرى) قد أحس ، بأن قدرته على التشبث بحافة (السقالة) أكثر من ذلك ، قد بدأت تضعف تدريجيًا .

وتصبب العرق منه ، وهو ينظر إلى حفرة الأسمنت والزلط الكبيرة تحته ، والتى يوشك أن يسقط فيها .

وصاح (محمود) فى سائق الونش ، لكى يدلى بالذراع التى تحمل الصندوق المعدنى ، ليصبح على مسافة قريبة من (يسرى) .

وكان(يسرى) قد عمد إلى استخدام يده الأخرى ، وهو يحاول استخدام كلتا يديه فى ارتقاء (السقالة) .. كمحاولة يائسة منه لإنقاذ نفسه .

وعندما رآه (سامح) يفعل ذلك ، صرخ فيه لكى يتراجع عن هذه المحاولة ، لكن صرخته لم تفلح ، إذ بدأت (السقالة) التى انفصلت عن بقية (السقالات) الأخرى تتهاوى ، على إثر محاولة (يسرى) .

وكاد (يسرى) أن يسقط بـ (السقالة) داخل الصبة الخرسانية ، لولا (سامح) الذى تدلى بالنصف الأعلى من

جسده ، مرتكزًا ببطنه على حافة الصندوق المعدنى ، ليقبض على ياقة سترته .

وفى اللحظة التى تهاوت فيها (السقالة) لتغوص فى الصبة الخرسانية ، كان (سامح) قد نجح فى جذبه بعيدًا عنها .

وبذل (سامح) جهدًا جبارًا ، ليرفعه إلى أعلى ، وهو يطلب منه التشبث بحافة الصندوق المدلى من الذراع المعدنية للونش .

وبرغم ثقل جسد (يسرى) ، إلا أن (سامح) تمكن بعزيمة قوية ، من مساعدته على الصعود إلى الصندوق المعدنى .

وما لبث أن تهاوى الاثنان بداخله ، وهما يلهثان ويتصببان عرقًا .

وما إن استقرا على الأرض ، حتى اندفع الجميع للاطمئنان عليهما .

واقترب (محمود) من (سامح) ليطمئن على سلامته قائلًا :

ـ لقد كدت أن تسقط داخل الصبة الخرسانية ، وأنت تتدلى بخصرك هكذا ، لاجتذابه من فوق (السقالة) .

قال له (سامح) وهو يجفف عرقه :

ـ الحمد لله .. لقد أعاننا على النجاة .

نظر إليه (محمود) بإعجاب قائلًا :

- كلما عرفتك أكثر ، كلما ازددت لك احترامًا وتقديرًا .. لم أكن أعرف أنك تملك كل هذا القدر من الشجاعة .. وأن لديك هذا القلب الكبير .

قال له (سامح) وهو يسوى من ثيابه :

- لا تضخم الأمور هكذا .. واطلب من أحد العمال ، أن يعد لنا كوبًا من الشاى ، فأنا بحاجة ماسة إليه الآن .. ولا تنس أن تطلب منه أيضًا إعداد كوب من عصير الليمون للمنهدس (يسرى) ، فقد واجه موقفًا عصيبًا للغاية .

ابتسم (محمود) قائلًا :

- أعتقد أن الكثيرين سيتنافسون ، على تلبية طلباتك ، بعد أن رأوا ما فعلته الآن .

نظر (سامح) إلى العمال الملتفين حوله قائلًا :

- هيا يا رجال .. كل منكم يذهب إلى عمله .. لقد انقضى الأمر .

ثم التفت إلى أحد العمال قائلًا :

- ريس (محمد) ، تول مع مجموعة من زملائك ، إصلاح (السقالات) ، وأحضر سقالات أخرى بدلًا من تلك التى تهاوت .

وقف (سامح) ليشرف على العمل بنفسه ، لحين استعادة (يسرى) لتوازنه ، بعد ذلك الموقف العصيب الذى تعرض له .

وكان (يسرى) قد استعاد هدوءه بعد فترة من الوقت .

واقترب من (سامح) محاولًا أن يقول له شيئًا .. لكنه وقف مترددًا لبرهة .. ثم ما لبث أن تراجع وغادر موقع العمل .

وفى المساء جلس (سامح) فى غرفته ، يفكر فى (دعاء) .. وفى ذلك البيت الصغير الذى يحلم بأن يضمه هو وهى ، وقد أصبحا زوجين .. وسعادته وهو بجوارها .. كما أخذ يستعيد أحاديثهما معًا ، حينما سمع طرقات على باب حجرته .

ونهض (سامح) ليفتح الباب ، حيث وجد (يسرى) واقفًا أمامه .

قال له (يسرى) وهو مطأطئ الرأس :

- هل أستطيع أن أدخل ؟

قال له (سامح) مُرحّبًا :

- بالطبع يا باشمهندس .. تفضل .

* * *



١٢ ـ الخيار الصعب ..

وقف (يسرى) فى وسط الغرفة ، وهو ما زال منكس الرأس .. فقال له (سامح) وهو يقدم له مقعدًا :

ـ اجلس يا (يسرى) .

قال له (يسرى) :

ـ لقد أردت أن أشكرك اليوم ، على ما فعلته من أجلى .. ولكنى كنت خجلًا منك ومن نفسى .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ لا يوجد ما يوجب الشكر .. لقد فعلت ما يتعين علىَّ أن أفعله مع أى زميل .

ـ لقد عرضت نفسك للخطر من أجلى .

ثم أردف قائلًا وهو ينكس رأسه مرة أخرى :

ـ فى الوقت الذى عاملتك فيه بكل قسوة وجفاء ، وعملت على إبعادك عن هنا .

قال له (سامح) وهو يربت على كتفه :

ـ لا تدع هذه الأمور تشغلك .. سأعد لك كوبًا من الشاى معى .

لكن (يسرى) استوقفه قائلًا :

ـ إن ما فعلته من أجلى اليوم ، يثبت أنك رجل بكل معنى الكلمة .. وقد وجدت فيك من الشهامة والرجولة ، ما لم أره فى أى شخص آخر .

ـ أشكرك على هذا التقدير ، ولو أنى أؤكد لك أن أى زميل آخر كان سيفعل مثلى ، لو واتته فكرة استخدام الونش .

ـ يا لك من شخص متواضع !

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ هل تريد ملعقتين من السكر مع الشاى ، أم أكثر ؟

لكن (يسرى) قال له وهو ما زال متأثرًا :

ـ لقد قلت لك من قبل ، إن هذا المكان لا يسعنا نحن الاثنين .. ولقد رأيت اليوم أنك الرجل المناسب لهذا المكان .. فلم يبق لى إلا أن أحزم أمتعتى وأرحل ، وقد خاطبت فرع الشركة بما حدث ، وبأنك الرجل الأصلح هنا .

لقد أدركت هذه الحقيقة منذ أن جئت إلى هنا ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعلنى أعمل على إبعادك .. كانت أنانية حمقاء منى .. لك أن تتولى المهمة ورئاسة هذا العمل بمفردك ، فأنت كفء له ، أما أنا فإننى ذاهب .

ثم صمت برهة قبل أن يقول :

- ولكن ثق بأننى لم أكن أحمل لك فى قلبى حقدًا ولا شرًا .. ولا أدرى لِمَ سمحت لأنانيتى أن تستحوذ علىّ بهذا الشكل .. وتجعلنى لا أشعر نحوك بعاطفة ودية .

قال له (سامح) وهو يقدم له الشاى :

- أتعرف ما هى أبرز عيوبك حقًا ؟.. أنك تبالغ فى الإساءة لنفسك .

إنك إنسان طيب فى أعماقك يا (يسرى) .. كما أنك رجل مستقيم ومخلص فى عملك وقد قلت لك ذلك من قبل ، وهى صفات يتعين عليك أن تفخر بها .. إذ يندر وجودها فى إنسان فى زماننا هذا .

ثم ما هذا الحديث عن مغادرتك للعمل ؟! إنك أكفأ شخص لتولى هذا العمل ، لو تخليت فقط عن أسلوبك العنيف ، فى معاملة العاملين هنا .. أعرف أن دافعك هو إنجاز العمل المطلوب .. والواجب المكلف به .. لكن المرونة أيضًا أمر مطلوب ، وكسب صداقة الأشخاص الذين يعملون معك ، وحبهم لك ، أكبر دافع لإطاعتهم لأوامرك بشأن ما تطلب منهم من أعمال .

وتنهد (يسرى) قائلًا :

- صدقت .. هذه أهم الدروس التى تعلمتها منك ، برغم ماكنت أزعمه عن خبرتى الطويلة .

- إذن ستبقى فى هذا المكان .

- بل سنبقى معًا .

- هذا يتوقف على قرار رئيس الشركة .

- سأخبرهم بأننى لن أبقى فى هذا المكان بدونك .

ابتسم (سامح) قائلًا :

- هذه حماقة أخرى منك .. إن أيًا منا ، معرض لتولى مسئولية أحد مواقع الشركة العديدة .. وتلك الأمور الشخصية لا علاقة لها بالقرارت الصادرة من الشركة ، ولا بالواجب المفروض علينا كمهندسين هنا .

- ولكن لو نقلت من هنا ، فسوف يكون هذا بسببى .. وأنا لن أرضى عن ذلك ، وسوف يجعلنى أشعر بالذنب ، بل بالخجل من نفسى لو حدث .

قال له (سامح) مهونًا عليه الأمر :

- إنك لا تستطيع وحدك ، أن تملى إرادتك على الشركة ورئيسها .. لو نقلت من هنا ، فتأكد أن ذلك سيكون لصالح العمل أولًا وأخيرًا .. كما أن أيًا منا يستطيع أن يقوم بواجبه فى أى مكان يذهب إليه .

- ولكن ....

قاطعه (سامح) قائلًا :

- إذا أردت أن تقدم لى شيئًا حقيقة ، ردًا على ما فعلته اليوم معك ، فأنا أريد صداقتك .

قال له (يسرى) وهو يحاول مغالبة تأثره :

- إننى سأكون فخورًا بذلك .. ليتك أنت الذى تقبل أن أكون صديقًا لك .

مد (سامح) له يده مصافحًا وهو يقول :

- سيكون هذا هو أفضل ما حصلت عليه هنا .

صافحه (يسرى) وفى عينيه نظرة تقدير حقيقية .. ثم مالبث أن احتضنه بحرارة :

★ ★ ★

تحدث والد (دعاء) معها قائلًا :

- لقد طلب (حمدى) يدك منى اليوم بطريقة مباشرة ورسمية .

نظرت إليه (دعاء) بانزعاج قائلة :

- ماذا ؟ وهل أقدم على هذا التصرف هكذا من تلقاء نفسه ، دون أى اعتبار لى ، وما إذا كنت موافقة أم لا ؟

قال لها الأب :

- إنه يفترض أنك موافقة .

- ولكنى غير موافقة .

نظر إليها أبوها قائلًا :

- يا (دعاء) إن (حمدى) إنسان ناجح ويحبك .. و ....

قاطعته قائلة :

- أبى .. لقد تحدثنا فى هذا الموضوع من قبل .

تنهد الأب ، وقد صمت برهة قبل أن يقول :

- ولكنه مصر على الارتباط بك .

قالت له (دعاء) مستنكرة :

- مصر على الارتباط بى !! هل سيتزوجنى دون إرادتى ؟

- بصراحة .. لقد أوضحت له أنك لا ترين فيه سوى أخ وصديق ، وأنك ترفضين فكرة الزواج منه .

- وماذا قال لك ؟

- ازداد إصرارًا على الزواج منك .. وقال إنه سيعرف كيف يجعلك تحبينه ، وإنه واثق من ذلك .. كما تحدث بإسهاب عن السعادة التى سيحققها لك .. وعن أشياء كثيرة تغرى أى أب بالموافقة .

قالت له (دعاء) وقد ازداد انزعاجها :

- هل يعنى ذلك أنك قد وافقت ؟

عاد الأب إلى صمته ، وقد أطرق برأسه إلى الأرض .. وأخيرًا رفع عينيه وهو ينظر إليها قائلًا :

- اسمعى يا (دعاء) .. سأكون أكثر صراحة معك ، حتى تتبينى حقيقة الموقف .

عندما غادرنا منزل المنيل ، كنت مثقلًا بالديون ، لأسباب كثيرة لا داعى لذكرها الآن .. وتضاعفت الديون علىَّ .. وأصبحت مهددًا بالسجن ، لأننى لم أكن أملك سداد ولو جزء صغير منها .

وفكرت طويلًا فيما يمكن أن يحدث لى ولكِ ، لو دخلت السجن ، وما هو المصير الذى ستئولين إليه .. خاصة ونحن ليس لنا أقارب هنا .

ولم أجد أمامى سوى ابن عمك (حمدى) ، الذى فقدت اتصالى به ، بعد أن غير عنوانه فى كندا ، وانقطعت اتصالاته بنا .

وهدانى تفكيرى إلى الهرب من مصر ، والسفر إلى كندا ، فرارًا من الدائنين ، ومن المصير المظلم الذى كان ينتظرنى وينتظرك .

وهناك أخذت أبحث عن عنوان ابن عمك ، حتى تمكنت من العثور عليه ، وشرحت له الأمر بحذافيره .. وكان (حمدى) هو الشخص الذى أنقذنى من أسوإ ظروف مررت بها فى حياتى .. فقد كان الوضع الذى وصلت إليه ، هو وضع رجل مدين بمبالغ طائلة .. وهارب من بلده خوفًا من السجن والدائنين ، وأصبح يتنقل من مكان لآخر فى بلد غريب بابنته الوحيدة ، وقد قاربت نقوده على النفاد ، ولا يدرى كيف يمكنه أن يطعمها خلال الأيام القادمة ، وهو لا يجد عملًا ولا مأوى .. وفى نفس الوقت غير قادر على العودة إلى وطنه .

نظرت إليه (دعاء) بدهشة قائلة :

ـ ولكنك لم تخبرنى بشىء كهذا .. لقد كنت أعرف أنك تواجه بعض الصعوبات فى عملك .. وأنك قد تعرضت لبعض الخسائر وقتها .. وأنك تبحث عن ظروف عمل أفضل فى كندا .. لكنك لم تخبرنى شيئًا عن هذه الديون ، ولا عن تلك الظروف القاسية التى مررت بها .

قال لها الأب :

ـ لم أرد أن أحـملك الهمـوم وأنت فى هذه السن الصغيرة ، أو أجعلك تشقين بسببى .. وجاهدت وقتها لكى أخفى عنك حقيقة الأمر الذى وصلنا إليه ، فى تلك الأيام .

لقد شرحت الأمر لـ (حمدى) عندما التقيت به .. فأسند لى عملًا فى شركته ، كما تولى عنى تسديد كافة الديون التى كنت محملًا بها .

وكان بالفعل الشخص الذى مدّ لى يده لينقذنـى من الغرق .. ولا أدرى ما الذى كان سيئول إليه مصيرنا ، لو لم يمد لنا يده وقتها .

ولكن فى المقابل ، لم أرضَ أن يتحمل هو مسئولية أخطائى .. فكتبت له إيصالات وشيكات بقيمة الديون التى سددها عنى .. بل وأصررت على ذلك .. على أن أسددها من خلال ما أحصل عليه من راتب مقابل عملى .

ولم يحاول (حمدى) يومًا أن يطالبنى بسداد الديون .. ولا أخفى عليك أن ظروف الحياة والمستوى الذى أردت أن تعيشى فيه ، حال دون أن أفى بالسداد .. واعتمدت على أن أقوم بذلك ، حينما تزداد الأوضاع تحسنًا .

وعندما فكر (حمدى) فى نقل نشاطه إلى مصر ، اختارنى واختارك لتولى مسئولية ذلك الفندق .. إلى أن وجدته يكشف لى عن رغبته فى الارتباط بك ، وأنه يكن لكِ عاطفة قوية .

فى البداية سعدت بأن تكونى زوجته .. لكن حينما أدركت أنك لاتشعرين بأى عاطفة نحوه ، وأنك غير موافقة على هذا الزواج ، عمدت إلى التهرب من إجابته ، وحينما أوضح لى عن رغبته تلك بطريقة مباشرة .. أخبرته برفضك .. بل أوضحت له أيضًا أننى غير موافق ، طالما أنك لاترغبين فى ذلك .

لكنه أصرّ على التمسك برغبته فى الزواج منى .

قال لها أبوها وهو يحوّل وجهه إلى جهة أخرى :

ـ بل أكثر من ذلك .. لقد لوح لى بأنه سيستخدم ضدى الإيصالات والشيكات التى حررتها له على نفسى .

قالت له (دعاء) غير مصدقة :

ـ هل هذا معقول ؟ هل هددك (حمدى) باستخدام تلك الشيكات ضدك ؟

قال لها الأب مطرقًا :

ـ نعم .. هذا هو ما حدث .. إننى لن أرغمك على شىء يابنيتى .. ولن أضطرك إلى الزواج من شخص لاترغبينه .. ولكن أردت فقط أن أشرح لكِ حقيقة الموقف .. لكى تكونى على بينة لو حدث لى ....

توقف عن الحديث دون أن يكمله ، وقد أحس بوطأة الموقف عليه وعلى ابنته . بينما غادرت (دعاء) الغرفة فى هدوء .. وقد اتضح أمامها حجم الأزمة التى يتعين عليها أن تواجهها .

* * *



١٣ ـ وداعًا للأحزان ..

لم يكد (سامح) ينتهى من عمله ، حتى هرع إلى الفندق ، وكله شوق للقاء (دعاء) ، وقد تملكته اللهفة لمعرفة رأى أبيها ، فى طلبه الزواج منها .

كان يعرف أن أباها يقدره ويحبه ، وأنه لن يرفض طلبه الزواج من ابنته .. كما أصبح يعرف الآن مقدار عاطفة (دعاء) نحوه .. لكنه مع ذلك بقى قلقًا فى انتظار سماع الرد على مطلبه .

لم يجد (سامح) (دعاء) فى انتظاره بحديقة الفندق كالعادة .. فاستغرب ذلك ، لكنه سأل عنها ، وطلب من أحد العاملين بالفندق ، أن يخبرها بأنه ينتظرها ، وبقى واقفًا فى مكانه ، دون أن يجلس إلى المنضدة ، التى تعودا أن تجمعهما ، وقد أحس بانزعاج غريب ، حاول أن يخفف من تأثيره عليه .

وبعد قليل وجدها قادمة نحوه ، وهى تخطو بخطوات متثاقلة .

اندفع (سامح) نحوها فى لهفة قائلًا :

ـ أحمد الله على أنك بخير .. لقد خشيت أن يكون قد أصابك مكروه ، حينما لم أجدك فى انتظارى بالحديقة كعادتك .

وأحس (سامح) ببرودة يدها وهى تصافحه قائلة بصوت لا يقل برودة .

ـ أهلًا بك يا (سامح) .

نظر إليها متسائلًا وهو يقول :

ـ (دعاء) .. ماذا بك ؟

قالت له وهى تسبقه إلى الجلوس فوق أحد المقاعد المحيطة بالمائدة :

ـ لا شىء .

ـ هل تحدثت إلى أبيك ؟

نظرت إليه قائلة :

ـ عن أى شىء ؟

قال لها بدهشة :

ـ عن زواجنا بالطبع .

صمتت (دعاء) دون أن تقول شيئًا .

وازداد انزعاجًا وهو يسألها بإلحاح قائلًا :

ـ (دعاء) .. لماذا لا تتكلمين ؟

قالت له بعد برهة من الصمت :

ـ (سامح) .. لقد فكرت طويلًا ووجدت أنه يتعين علينا ، أن نطرح فكرة الزواج هذه من تفكيرنا .

نظر إليها فى ذهول قائلًا :

ـ ماذا ؟ ما هذا الذى تقولينه ؟

ـ ربما كنت قد أعجبت بك .. وربما أحببتك ، وتمنيت أن أراك يومًا تبادلنى هذا الحب ، لكن الزواج شىء آخر .. والمستقبل لا يمكن أن يبنى على العواطف والمشاعر وتلك الأشياء وحدها .

قال لها وهو غير مصدق لما سمعه :

ـ لكن هذا يتعارض تمامًا مع ما كنت تقولينه لى منذ يومين فقط .

ـ لقد طلبت منك وقتًا للتفكير .. وقد فكرت .. ووجدت أننى كنت مخطئة .. الزواج لا يمكن أن يبنى على العاطفة وحدها .

ـ ولكن ، كيف أمكنك أن تتحولى هكذا إلى النقيض ، خلال يومين فقط ، بعد كل ما قلته عن حبك لى ؟

ـ ربما لم يكن حبًا .. تستطيع أن تسميه اندفاعًا وراء هدف لم أستطع أن أحصل عليه ، تنميت أن تهتم بى .. ولكنك لم تظهر هذا الاهتمام ، على النحو الذى أردته .. وعشت فى مخيلتى تلك السنوات ، فى صورة الرجل الذى لم أستطع أن

أحصل على حبه واهتمامه ، وعندما أعلنت لى عن هذا الحب والاهتمام أخيرًا ، أحسست بأننى قد نلت ما أردته ، وأرضيت غرورى .. ففقدت اهتمامى بك .. وتسربت هذه العاطفة التى ظننتها من نفسى .

نظر إليها وهو ما زال غير مصدق قائلًا :

ـ هل يمكن أن يكون هذا هو إحساسك الحقيقى ؟ إننى لا أصدق ذلك ؟

قالت له بجفاء :

ـ ولِمَ لا ؟ ألم تقل بنفسك إن النفس الإنسانية ، تتميز أحيانًا بالغرابة ؟! هذه هى الحقيقة التى تبينتها داخلى ، بعد أن انفردت بنفسى ، وأمعنت التفكير .

ـ لا يمكن أن تكون هذه هى (دعاء) التى تتكلم .. إنك تحبيننى ، وأنا أعرف ذلك .

ـ لم يكن الحب سوى وهم .

ـ إنكِ تكذبين .

ـ صدق ما شئت .

ـ هل هو أبوك الذى جعلك تقولين هذا ؟

ـ ليس لأبى دخل بالموضوع .. أنا التى تسرعت فى التعبير عن مشاعر غير حقيقية ، ولكى تصدق وتريح نفسك .. لقد وافقت على الزواج من (حمدى) ابن عمى ، بعد أن طلب منى ذلك .

انهار (سامح) فوق مقعده ، وقد أحس بأن عالمه ينهار حوله .. لم يكن حتى هذه اللحظة قادرًا على أن يصدق هذا التحول الغريب .. وأن الأمور قد تبدلت بينهما هكذا .

قال لها بأسى :

- ليتنى لم ألتق بك .. لقد استطعت خلال أيام قلائل ، أن ترتفعى بى إلى عنان السماء ، ثم هويت بى فى لحظات إلى أعماق الأرض .. ليتك بقيت فى مخيلتى وفى ذكرياتى ، الفتاة الصغيرة الرقيقة ، ذات الوجه البرىء ، والابتسامة المشرقة ، ولم تجعلينى أراك كما أراك الآن بهذه الصورة الكريهة .. صورة فتاة مادية لا قلب لها ولا عاطفة .. فتاة تتلاعب بمشاعر الآخرين ، فقط لمجرد إرضاء غرورها ، لقد سلبتنى الفتاة التى أحببتها ، وأسأت إلى ذكريات جميلة عاشت طويلًا فى خيالى ..

نهضت (دعاء) وهى تنظر إليه بأسى قائلة :

- أنا آسفة .. حاول أن تنسانى وتصفح عنى .

ثم غادرت المائدة ، وابتعدت وقد تركته وحيدًا .

لكن ما إن توارت عن ناظريه ، حتى استندت إلى أحد الجدران ، وقد أجهشت بالبكاء ، وهى تردد قائلة :

- ليتنى أستطيع أن أطلعك على الحقيقة .. وليتك تنسانى ، بقدر ما سوف أظل أذكرك وأحبك .

★ ★ ★

عاد (سامح) إلى القرية السياحية بقلب كسير ، وقد ارتسمت ملامح الحزن الشديد على وجهه .

كان يشعر بجرح غائر فى قلبه ونفسه .. وعندما اقترب من غرفته ، كان يجر قدميه ، وقد أحس بأنه منهك القوى ؛ من وطأة ذلك الجرح .

وقبل أن يدخل إلى غرفته ، وجد صديقه (محمود) فى انتظاره ، حيث استقبله ببشاشة قائلًا :

- أين كنت ؟ لابد أنك كنت فى فندق الواحة .. لقد أصبحت الآن تذهب دون علمنا ، بعد أن كنت تعترض على الذهاب إلى هناك .

قال له (سامح) بصوت خافت :

- هل تريد شيئًا يا (محمود) ؟

ابتسم (محمود) قائلًا :

- أريد شيئًا ؟! لقد كنت أتأهب للذهاب إليك .. على كل حال ، أحمد الله على أنك قد جئت بنفسك .. فهناك شخص يريد أن يلتقى بك .

- لا أرغب فى مقابلة أحد الآن .

قال له (محمود) مازحًا :

- لا ترغب فى مقابلة أحد ؟! إلا هذا الشخص ، فإنه لا يصح أن ترفض مقابلته ، إنه رئيس الشركة ، وهو هنا منذ ساعتين ، وقد طلب أن يلتقى بك قبل ذهابه إلى فرع الشركة .

قال له (سامح) بلا مبالاة :
ـ حسن .. سآتى معك .
نظر إليه (محمود) بقلق قائلًا :
ـ لماذا تبدو حزينًا هكذا ؟ هل هناك شىء ؟
ـ لا .. لاشىء .
ابتسم (محمود) قائلًا :
ـ على كل حال .. لن يلبث أن يزول حزنك هذا .. وتستعيد بشاشتك .. فبرغم أنه يتعين علىّ ألا أخبرك بذلك الآن .. إلا أننى سأتغاضى عن ذلك ، وأقول لك ، لماذا طلب رئيس الشركة مقابلتك ؟
لقد جاء ليشكرك ، على ما فعلته لإنقاذ المهندس (يسرى) .. ويخبرك بأنه وافق على استمرارك فى العمل معنا هنا .
وطرق (سامح) الباب ، ثم دخل إلى الحجرة ، ليجد رئيس الشركة ، ومعه المهندس (كريم) والمهندس (يسرى) .
ابتسم رئيس الشركة لدى رؤيته لـ (سامح) قائلًا :
ـ تعال يا (سامح) .. أين كنت يا رجل ؟ لقد بحثنا عنك كثيرًا .
لاذ (سامح) بالصمت دون أن يقول شيئًا .
بينما استطرد رئيس الشركة :

ـ إننى أرى تقدمًا مطردًا فى العمل هنا .. وفى الحقيقة لقد أدهشنى ما رأيته .. ودعاه إلى الجلوس قائلًا :
ـ لقد علمت بما فعلته مع المهندس (يسرى) ، والشجاعة التى أبديتها لإنقاذه .
وفى الحقيقة فإننى قد ازددت احترامًا لك .. خاصة بعد الخلاف الذى كان قائمًا بينك وبين المهندس (يسرى) .
وتدخل المهندس (يسرى) فى الحديث قائلًا :
ـ لم يعد لهذا الخلاف وجود يا فندم .
ابتسم رئيس الشركة قائلًا :
ـ لقد أكدت لى هذا أكثر من مرة ، وأنا أصدقك .. فلا أعتقد أنه يمكن أن يتبقى خلاف بينك وبين المهندس (سامح) ، بعد ما فعله من أجلك .
نظر إلى (سامح) وفى عينيه نظرة تقدير قائلًا :
ـ إننى سعيد بوجودك فى شركتى ، وتأكد أننى أقدرك كمهندس وكرجل .
بالنسبة لموضوع المذكرة نستطيع أن نعتبره منتهيًا ، وسوف تستمر فى مشاركة المهندس (يسرى) فى الإشراف على العمل هنا .
تحدث (سامح) قائلًا :
ـ أشكرك يا (عبد الفتاح) بك على هذا التقدير ، كما أشكر الجميع هنا .. ولكن لو سمحت لى فإننى لا أريد

الاستمرار فى العمل هنا .. وأرجو أن تنقلنى لأى موقع عمل آخر .

نظر الجميع إليه بدهشة ، حيث تحدث رئيس الشركة قائلًا :

- أما زلت متأثرًا بالخلاف الذى حدث بينك وبين المهندس (يسرى) ؟

- أوكد لحضرتك ، أنه لا علاقة لطلبى هذا بأى خلاف ، أو أى شىء يتعلق بالعمل ، وكما قال المهندس (يسرى) فإنه لم يعد هذا الخلاف قائمًا ، وقد أصبحنا الآن صديقين حميمين .

تحدث (يسرى) قائلًا :

- ولكن العمل هنا بحاجة لوجودك وجهودك .

- إننى واثق من أنك تستطيع إنجازه على أكفأ وجه ، دون حاجة لوجودى .

قال رئيس الشركة :

- ولكنى ظننت أن العمل هنا يلائمك .

- إن لطلبى هذا جانبًا شخصيًا .. فوالدتى مريضة ، وبحاجة لوجودى إلى جوارها ، أرجوك يا فندم .. إننى آمل أن تحقق لى طلبى هذا .. وتأكد أننى سأخدم الشركة فى أى موقع آخر تنقلنى إليه .

وانصرف وهم يرقبونه بدهشة .

★ ★ ★

مر أسبوعان على عودة (سامح) إلى القاهرة .. وقد بذل جهدًا خرافيًا فى عمله ، لكى ينسى تجربته القاسية مع (دعاء) .

وعاد ذات ليلة منهكًا من التعب ، حيث استقبلته أمه كعادتها وهى تضمه إلى صدرها بحنان قائلة :

- لقد تأخرت كثيرًا يا (سامح) هذه الليلة .. وقد كاد النوم أن يغلبنى ، وأنا انتظرك لنتعشى معًا .

قال لها (سامح) وهو يتهالك فوق أحد المقاعد :

- لقد أخبرتك أكثر من مرة ألا تنتظرينى ، وأن تتناولى أنت عشاءك وقتما تشائين .

قالت له الأم بحنان :

- أنت تعرف أننى لا أستطيع أن أتناوله بدونك .

- وماذا كنت تفعلين عندما كنت مسافرًا ؟

- الأمر الآن يختلف ، فما دمت معى يتعين علىَّ ألا أدعك تتناول العشاء بمفردك ، فهذه هى الوجبة الوحيدة التى نتناولها معًا طوال اليوم .

نظر إليها (سامح) قائلًا :

- وإلى متى ستظلين على هذا المنوال ؟

ابتسمت الأم قائلة :

- حتى تتولاه عنى امرأة أخرى .

- امرأة أخرى ؟!

- نعم زوجتك المقبلة .

أطلق (سامح) زفرة قصيرة لدى سماعه ذلك .. فى حين قالت له الأم وهى تدعوه إلى المائدة :

- هيا .. لنتناول العشاء .

جلس (سامح) على المائدة ، وقد أخذ يقلب الطعام فى الطبق الموضوع أمامه ، دون أن يشعر برغبة حقيقية فى تناوله .

لاحظت أمه ذلك فقالت له :

- لماذا لا تتناول طعامك ؟

تظاهر (سامح) بتناوله قائلًا :

- ولكنى آكل بالفعل .

قالت له الأم :

- كلا ، إنك تتظاهر بذلك .. ألم يعد طعامى يعجبك ؟

- من قال هذا ؟.. أنت تعرفين أننى لا أحب فى الدنيا طعامًا آخر ، مثل ذلك الذى أتناوله من يدك .

تأملته الأم وفى عينيها نظرة قلق قائلة :

- إن الأمر يتعلق بشهيتك .. إنك لم تعد تقبل على الطعام ، على النحو الذى كنت عليه من قبل .. وهذا يتعارض مع مشقة العمل ، الذى تقوم به طوال النهار .

انظر إلى نفسك ، لقد صرت نحيلًا شاحب اللون .. ما الذى طرأ عليك وبدّلك هكذا ؟

ابتسم (سامح) قائلًا :

- إننى بخير .. فلا داعى لقلق الأمومة الزائد هذا .

وأرغم نفسه على الأكل إرضاءً لها .. ثم ما لبث أن توقف عن الطعام قائلًا :

- أتريدين أن تسمعى منى خبرًا يفرحك ؟

قالت له الأم بلهفة :

- لشد ما أتوق إلى ذلك يا بنى .

- لقد نلت ترقية اليوم فى الشركة .

تهلل وجه الأم قائلة :

- حقًا يا بنى ؟ يا له من خبر سعيد .. إنك تستحق ذلك ، فأنت تبذل جهدًا كبيرًا فى عملك ، ولابد أن يكون لكل مجتهد نصيب .. إننى فى غاية السعادة لسماعى ذلك .

ثم تراجعت ملامح الفرحة عن وجهها ، وهى تتأمله قائلة :

- ولكن لماذا لا تبدو فرحًا بهذا ؟

شرد (سامح) وهو يستعيد صورة (دعاء) فى خياله ، ويتذكر تلك الأيام الرائعة التى جمعته بها ، والتى حركت مشاعره وعواطفه المستكنة .. تذكر كيف كان يبدو

سعيدًا وفرحًا وقتها ؟.. وكيف كان يمنى نفسه بمستقبل كله بهجة وآمال مشرقة ، وكيف تلاشت هذه السعادة فى لحظات قليلة ، وتبددت كل أحلامه حول المستقبل وأماله .

قبل أن يراها ، كانت كل آماله ترتكز على طموحاته فى العمل ، والسعى وراء مستقبل عملى ناجح .. ولكن بعد أن عرفها ، صارت هى أمنيته الأولى .. وصار حبها هو دافعه الأول للنجاح والطموح .

وها هى ذى آماله فى عمله تتحقق .. وها هو ذا قد نال ترقية يحلم بها الكثيرون .. ولكنه لا يشعر بالرغم من ذلك ، بأى بهجة حقيقية .. ولا يشعر بأنه أحرز نجاحًا مّا ؛ لأنه لا يجدها بجواره ليخبرها بذلك .

أغمض عينيه وهو يحاول أن يمحو صورتها من خياله .. ويبعدها عن دائرة أفكاره .

★ ★ ★

استيقظ (سامح) من نومه ، وهو يشعر بصداع شديد فى رأسه ، ونهض ليبحث لنفسه عن قرص (أسبرين) فلم يجد .

ونادى أمه قائلًا :

ـ أمى .. ألا يوجد هنا قرص (أسبرين) فى أى مكان ؟

وفوجئ برؤيتها أمامه ، وهى تبتسم قائلة :

ـ من الخطإ تناول الأسبرين على معدة خاوية يا باشمهندس .

نظر إليها قائلًا فى ذهول :

ـ أنت ؟

وفى تلك اللحظة حضرت أمه ، وهى تقول بصوت يتدفق سعادة :

ـ أرأيت من هنا ؟ إنها (دعاء) جارتنا القديمة .

ظل يحدق فيها بدهشة .. ثم ما لبث أن قال لها بغلظة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

وقالت له أمه مستنكرةً :

ـ ما هذا يا بنى ؟ كيف تتحدث إلى الفتاة هكذا ؟

قال لها (سامح) بحدة لم تعرفها أمه فيه من قبل :

ـ أرجوك يا أمى لا تتدخلى فى هذا .

قالت لها (دعاء) بلهجة هادئة :

ـ من فضلك يا ماما دعينا وحدنا قليلًا .

واقتربت منه قائلة :

ـ أولًا .. أعتذر لأننى حضرت إلى منزلك هكذا ، دون ميعاد سابق .. وفاجأتك برؤيتى لدى استيقاظك من نومك .. لكنى كنت بلهفة للتحدث إليك .

قال (سامح) وهو يدير لها ظهره :

ـ لقد قلت كل ما لديك فى لقائنا الأخير .

قالت له (دعاء) :

ـ بل قلت ما كان يتعين علىّ أن أقوله وقتها .

قال لها (سامح) دون أن يلتفت إليها :

- أهذا لغز ، أم محاولة جديدة للتلاعب بالألفاظ والمشاعر ؟

- (سامح) من فضلك اسمعنى حتى النهاية .

وروت له (دعاء) الظروف التى اضطرتها لقبول الزواج من (حمدى) .. ومشاكل أبيها المادية ، وتهديد ابن عمها بمطالبته بالشيكات ، التى لم يكن يملك القدرة على سدادها ، وأنه كان يتعين عليها أن تبعده عن حياتها ، وأن تضحى من أجل أبيها حتى لاتكون عقبة فى طريق مستقبله .

واستطردت قائلة :

- وعندما اكتشف (حمدى) ، أنه لم ينجح ، ولن ينجح ، فى الوصول إلى قلبى ، وفى أن يجعلنى أحبه .. وأننى وافقت على زواجه كارهة .. بل أصبحت أعامله بكراهية واحتقار ؛ لاستغلاله للدين الذى له على أبى ، لكى يجبرنى على الزواج منه .. عدل عن الاستمرار فى إجراءات الزواج .. وأخبرنى بأنه لم يفعل كل ذلك برغم كراهيته لفعله - إلا رغبة منه فى الزواج منى ، ولأنه كان يحبنى حبًا قويًا .. ولكنه أدرك أنه لن يستطيع أن ينال حبى يومًا مَا ، وأنه بفعلته هذه ، ربما يكون قد اكتسب كراهيتى إلى

الأبد ، وهو الشىء الذى لا يقوى على تحمله ، وقال لى إن الأوان لم يفت ، لتصحيح الخطأ الكبير الذى ارتكبه .. وإنه سيرضى بأن أكون له صديقة ما دام لم يستطع أن يجدنى الحبيبة والزوجة .

وفى الحقيقة ، لقد تصرف تصرفًا كريمًا ، جعلنى أرى فيه مرة أخرى الإنسان الذى عهدته ، فقد قدم لى الشيكات المستحقة على أبى .. وطلب منى أن أسامحه ، وأن أنسى ما فعله .. كما تمنى لى السعادة مع الشخص الذى أختاره .

وازدادت قربًا منه وهى تهمس له قائلة :

- والآن أما زال لديك شك ، فى أنك ذلك الشخص الذى اخترته ؟

التفت إليها وهو يتأملها بعينين تتدفقان حبًا ، مرددًا اسمها وهو يقول :

- (دعاء) .

قالت له بصوت يقطر حبًا وحنانًا :

- إن (دعاء) ملك يديك يا حبيبى .

وقال لها وهو يشير بسبابته محذرًا :

- هذه المرة لن تفلتى منى .

ابتسمت قائلة .

- ومن قال إننى سأفعل ؟

ـ إذن .. سأسألك ذلك السؤال ، الذى سألته لك من قبل .. هل تتزوجيننى ؟

ضحكت قائلة :

ـ ليس عليك سوى أن تأخذ حمامًا وترتدى ثيابك ، وتطلب إجازة اليوم من عملك ثم تلحق بى إلى سيناء ، لتطلب يدى من أبى .

ـ وسأحضر معى المأذون .

ازدادت ضحكتها إشراقًا وهى تقول :

ـ ولكنه موجود فى انتظارنا بالفعل .

واحتضنت يداه يديها ، وهو يشعر بأنه يسترد حيويته التى افتقدها ، وسعادته التى ودعها .. قائلًا :

ـ (دعاء) .. أحبك .. أحبك بكل ذرة فى كيانى .

ودخلت الأم الغرفة على الأثر ، وهى تطلق زغرودة تعبيرًا عن الفرح بتحقيق الأمل .



[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



أ . شريف شوق

60

مرحبا بالحب

أنكر (سامح) عواطفه نحو (دعاء) فى البداية .. برغم أنه كان يعرف أن الإنكار لن يغير من حقيقة مشاعره نحوها . وعندما التقى بها مرة أخرى ، بعد فراق سنوات ، أحدث هذا اللقاء انقلابًا فى حياته .

٢١٦٩

الثمن فى مصر ١٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم